

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
□ جامعة وهران 1 - السانیا-

قسم: اللغة العربية وآدابها



كلية الآداب والفنون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير
مشروع الأدب العربي القديم: الجذور والمثاقفة

البنى الأسلوبية في زهديات أبي العتاهية

الأستاذ المشرف:
عبد القادر سكران

إعداد الطالبة:
زرزكوك سميرة
اللجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة وهران	أ.د. ناصر اسطبول
مقررا	جامعة وهران	أ.د. عبد القادر سكران
مناقشا	جامعة وهران	د. فريدة أيت حمدوش
مناقشا	جامعة وهران	د. العزوني فتيحة

السنة الجامعية
2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

" قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26)
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) "

الآية 25-28 من سورة طه

مقدمة شكر:

نتوجه بالشكر أولاً إلى من خلقنا فأحسن خلقنا ووهبنا نعمة العقل، ويسر سبيلنا إلى كل ما

نسمو إليه في سبيل العلم

وقال في كتابه الكريم "ولئن شكرتم لأزيدنكم"

فاللهم لك الحمد حتى ترضى عنا ولك الحمد إن رضيت ولك الحمد أن لم ترضى ولك الحمد بعد
الرضى

ونتقدم بخالص الشكر للاستاذي المجترم عبد القادر سكران الذي ساعدني على كشف الحجب
المسترة في هذا البحث وإلى أستاذي الكريم عبد الناصر اسطمبول الذي لم يبخل علي بالمصادر
والمراجع.

وإلى أستاذي الفاضل أحمد منهوج الذي أمسك بيدي لصعود سلم النجاح

وإلى النخبة المناقشة لهذا البحث البسيط

وإلى كل من ساندني من قريب أو بعيد

اهري ثمرة جهري

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، له الحمد من قبل ومن بعد
والصلاة والسلام على سيد خلق الله محمد بن عبد الله المصطفى مبلغ آيات
الله غير ذي عوج وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

أما بعد: ظهرت في العصر العباسي تيارات فكرية كثيرة ونزعات
عقلية لم تشهده العصور السابقة له، وقد رسخت في جذور الفكر العربي
عامة والأدبي بخاصة، وامتازت بالجديد والتنوع، وكانت تحول فكري على
الموجود في الساحة الفكرية آنذاك، لأنها نتاج لظروف سياسية، واجتماعية،
وثقافية ودينية، فظهرت أغراض تناقض بعضها البعض ، كالمجون والزندقة و
الزهد، مما أدى بالشعراء الدفاع عن دينهم، ووجهات نظرهم الفكرية ومنها
غرض الزهد التي بانته ملاحمه ومعامله من قبل بعض الشعراء ومنهم أبي
العتاهية، والمتأمل في خطابه الزهدي يلمح فيه جهود الشاعر الروحية لخدمة
الدين الإسلامي، بأسلوب لغوي بسيط في طياته، لكنه يحمل في جنباته
معان تستوقف القارئ وتدعوه للتأمل لما فيه ، من دلالات لا تقف عند
تفسير واحد، وهذا الغرض الشعري فتح المجال للاشتغال فيه وكشف الغطاء
عنه خاصة أنه كان تمهيدا لظهور طريق التصوف، و أبو العتاهية من الشعراء

الذين شهد لهم التاريخ بجزالة شعرهم ، وقدرتهم على الحياكة وذلك بشهادة من معاصريه شعراء ونقادا، وركب أبي العتاهية موكب الوعاظ المصلحين الذين اعتنقوا دروبا ومسالك شائكة للوصول إلى أعلى المقامات.

وفي هذا البحث حولنا الإجابة عن عدة تساؤلات جالت في خاطرنا عن ماهية الزهد؟، وما مفهومه؟ ومدى حقيقته عند أبي العتاهية؟، وماهي البنى الأسلوبية الموجودة في خطابه الشعري؟.

وبدا لنا أن الدراسة الأسلوبية أكثر مناسبة لهذا البحث، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي وفق الدراسات المعاصرة القائمة على النسقية لتقصي أهم ملامح الزهد، و الوقوف على التجليات الدلالية والأسلوبية لدى الشاعر.

واقترضت الدراسة أن نقسم هذا البحث إلى مقدمة و أربعة فصول.

الفصل الأول عنوانه الزهد في العصر العباسي، حاولنا أن نعرف دلالة المصطلح، خاصة أنه ذكر في القرآن الكريم، وخص به الله عز وجل سورة يوسف بلفظه الصريح ، وقد ذكر الله تعالى في كثير من آياته التي تنص في تفسيرها على الزهد في الدنيا، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث على الزهد في الدنيا وعدم التمسك بها، ثم عرجنا على موقف الصحابة

وعباد الله الصالحين من الزهد، وقدمنا بعض التعريفات التي تكشف الغطاء، عن المعنى الحقيقي لزهد. وكان لابد أن نعرض بعض الشعراء الزاهدين وما أنشدوه في الزهد والحكمة، وعلاقة الزهد بالأغراض الأخرى، كما ركزنا في هذا الفصل على الظروف التي أوجدت غرض الزهد عند أبي العتاهية، وما قاله في فترة شبابه قبل تزهده والتزامه بشعره الديني.

أما الفصل الثاني عنوانه بالصورة الشعرية عند أبي العتاهية، ووجدنا قدرة الشاعر على الجمع بين الشعرية اللغوية، والصورة الذهنية، وكانت دراسة بلاغية في البيان، من تشبيه، واستعارة، وكناية بالإضافة إلى البنية التركيبية، التي هندس فيها الشاعر خطابه الشعري. ثم انتقلنا إلى شعرية البديع من طباق ومقابلة التي تعكس جمالية التوظيف لدى الشاعر ، وفق أساليب إنشائية وخبرية.

أما الفصل الثالث: عنوانه موسيقى الشعر في زهديات أبي العتاهية إذ تناولنا في هذا الفصل البحور الشعرية التقليدية للقصيدة العمودية وكان تحليلاً إحصائياً لأن أبي العتاهية الذي حذا حذو سابقيه من الشعراء ثم موسيقى القوافي والتصريع، الموجود في مطالع القصائد ودواخلها، ثم درسنا ظاهرة التكرار اللفظي والصوتي.

أما الفصل الرابع: عنوانه التقاطعات النصية في زهديات أبي العتاهية، وفي هذا الفصل عرفنا مصطلح التناس، ومفهومه عن النقاد العرب القدماء والمعاصرين، و النقاد الغربيين المعاصرين، وهذا بعد ما لمخنا تقاطعات نصية كثيرة مع القرآن الكريم، والحديث الشريف بشكل ملفت للنظر، كان لابد من استحضار نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، لنؤكد على تناس شعر أبي العتاهية معهما.

وختمنا البحث بخاتمة إستخلصنا فيها زبدة ما جاء في الموضوع معتمدة على مصادر عربية أهمها ديوان أبي العتاهية العمدة لابن رشيق أسرار البلاغة لعبد القاهر جرجاني، والأصفهاني كتاب الأغاني، البيهقي كتاب الزهد الكبير، أما المراجع إعتمدنا على كتب شوقي ضيف سلسلة تاريخ الأدب العربي، وأنيس المقدسي أمراء الشعر العباسي و جابر عصفور.....الخ

وقد يطال بحثنا هذا الكثير من النقص فالكمال لله وحده عز وجل وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أقف وقفة احترام لأستاذي المشرف عبد القادر سكران الذي ساندني في كشف الحجب المستترة في هذا البحث، وفي الختام أرجوا من الله أن يجعل عملي هذا منفعة لكل طالب علم، فإن

أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن عني الله تعالى، وصلى الله وسلم
على سيدي خاتم الأنبياء وأكرم خلق الله كلهم، وعلى آله وصحبه أجمعين

سميرة زركوك

الفصل الأول:

الزهد في العصر العباسي

- 1- دلالة مصطلح الزهد
- 2- سياق الزهد في العصر العباسي.
- 3- شعراء الزهد واتجاهاتهم
- 4- شعر الزهد وعلاقته بالموضوعات الأخرى
- 5- شعر أبو العتاهية قبل الزهد وأراء الشعراء فيه
- 6- زهدا أبو العتاهية ومواطن زهده.

لقد فرضت الحياة العباسية نفسها على الأدباء العباسيين من جميع نواحيها، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو من الناحية العقلية، التي أنتجت بفعل التمازج الشعبي بين العرب والأعاجم.

وقد أوجدت هذه الظروف اتجاهات فكرية نجدها جديدة على الفكر العربي انعكست على أدبهم، فظهرت أغراض كانت بمثابة نقلة نوعية للأدب على غرار ما عرفه العصر الجاهلي، أو الإسلامي، والأموي. وأهم الأغراض التي عنيها بها في بحثنا هذا هو الزهد.

تعريف الزهد لغة:

عدم الرغبة، فيقال زهد في الشيء إذ لم يرغب فيه ويعرفه بن دريد " إن الزهد خلاف الرغبة، والزاهد في الدنيا التارك لها فيها"¹.

إصطلاحاً:

هو حنين الروح إلى مصدرها الأول لمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها، وتفضل نعيم الآخرة عليها"².

أما ابن الأنباري يعرف الزهد أنه " الانصراف عن الشيء احتقاراً له وتصغيراً لشأنه للاستغناء عنه بخير منه"³.

¹ عن ناجية ناجي السعدي، عن جمهرة اللغة بن دريد ط1، سنة 1345هـ، مكتبة المتنبّي بغداد باب الدال والزاي - مادة زهد.

² سراج الدين محمد، الزهد في الشعر العربي، دار راتب الجامعية، بيروت، د ت، ص1.

³ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، الزهد، دار بن الكبير، للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص05.

وشيوخ الإسلام ابن تيمية يقول: الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة".

أما ابن الجلاء فقد عرفه: "الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض"⁴.

وذكر البيهقي في كتابه الزهد الكبير أن أبا سلمان يقول "الزهد حقا لا يذم الدنيا ولا يمدحها، ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت"⁵. أما عثمان سعيد بن عثمان الخياط قال سمعت ذا النون يقول أرغب الناس في الدنيا وأحفاه بها طلبا أكثرهم لها ذما عند طلابها ولا سيما إذا كان ذمه للدنيا حرقه بها.⁶

وقال أبو سعيد بن الأعرابي "وهذا على ما قيل في الزهد أن يكون همه هما واحدا لله عز وجل وحده ليس ذكر دنيا ولا آخرة، وهو غاية الزهد، وهو خروج قدر الدنيا وقتلتها من قلبه أن يزهد فيها وخروج قد غيرها فيرغب فيها إذا كانت دون الله عز وجل وهذا لمن كان همه وحده خالصا"⁷.

⁴ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي المرجع السابق، ص 06

⁵ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الزهد الكبير تحقيق عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، طبع بدار الجنان مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط1، 1987، ص 24

⁶ المرجع نفسه ص 24

⁷ المرجع نفسه ص 24

الزهد في القرآن الكريم:

8 سورة يوسف الآية 20

9 سورة الحديد آية 20

¹⁰ عن ناجية ناجي السعيد، في العصر الأندلسي عن المسند لأحمد بن حنبل، شرحه أحمد شاكر، ط2، دار المعارف مصر، 1/9. 46-

كما حذرنا في الكثير من أحاديثه عن حب الدنيا والانشغال بها، وهو خير مثال في الزهد، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "اللهم أجعل رزق أمتي قوتا".

والجدير بالذكر أن الدين الإسلامي من كتابه وسنته يؤكدان على الابتعاد عن عشق الدنيا وإنما التزهد فيها، لكن دون هجر الحياة الاجتماعية والتمتع بها، وبما أنعم الله على عباده، وإنما حث الإسلام على تحكم الإنسان في دنياه وجعلها كالعجين بين يديه يتصرف فيها بحكمه دون أن يكون أسير رغباته وشهوته كما جاء في قوله تعالى :

﴿وَمَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَغْلَ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾¹¹.

فعلى الإنسان أن يستغل كل نعمة أنعمها الله عليه¹²، وما على الإنسان إلا أن ينفقه فيما فيه خير وصلاح لدينه ودنياه، دون هدره في الحرام كما قال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام " ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا في إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله"¹³.

¹¹ سورة القصص الآية 77

¹² الكهف الآية 46

¹³ سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب 1 رقم 4100

فالقرآن الكريم والسنة أشارا إلى حب الدنيا دون التعلق والتثبت بها ودون الشعور بالكراهية والنفور والابتعاد عنها. وللصاحبة والتابعين كان لديهم تعريف للزهد ومفهومهم الخاص له **فعن علي بن أبي طالب** قال: " طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا، ثراها فراشا، ومادها طيبا، والقرآن شعارا، والدعاء دثارا"¹⁴.

سياق الزهد في العصر العباسي:

يعد العصر العباسي من أهم الحضارات والعصور مفخرة للعرب وبلغ هذا العصر قمة الرقي والتطور الحضاري، بفعل الامتزاج الثقافي بالشعوب الأخرى، حيث عرف نشاطا واسعا لم تعهده العصور السابقة له، حيث انتشر التدوين والترجمة. واهتمامه بالأدب أوجد نخضة فكرية أدبية هائلة يشهد لها التاريخ إلى يومنا هذا. وهذا الازدهار الفكري، كان محط أنظار الباحثين والمهتمين بدراسة جوانب هذا العصر الذهبي، خاصة من الناحية الأدبية بصفة عامة، والشعر الديني بصفة خاصة، ومنه غرض الزهد الذي أشار إليه الأدباء على أنه غرض جديد إلا أنه لم يلق العناية الكافية، من قبل الدارسين ولم يأخذ حقه بالكامل كما قال **مصطفى هدره** "إن خط العصر العباسي من الدراسات الأدبية قليل"¹⁵.

¹⁴ شرف الرضى نوح البلاغة مجموع ما اختار شريف الرضى عن كلام الإمام علي بن أبي طالب شرحه الإمام عبده، مؤسسة الإعلامي للطبوعات، بيروت، 24/4.

¹⁵ مصطفى هدره، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف القاهرة 1970، ص 09.

أما جيرونيام قال: " إن العصر العباسي كان أقل عصور الشعر العربي حظا من عناية الدارسين¹⁶ .

وينقسم العصر العباسي تاريخيا إلى ثلاثة مراحل، وما يهمنا في هذا البحث الفترة الزمنية الأولى التي تبدأ من 132هـ - 232هـ - وهذا لا يعني أن الكلام عن الأدب العباسي هو قطيعة عن العصر الأموي لأنه يعتبر إمتدادا اجتماعيا وعقليا له كما قال أحمد أمين "يخطئ من يقول أن هناك حدودا فاصلة بين الدولتين الأموية والعباسية وخاصة من الناحية الاجتماعية والعقلية"¹⁷ .

وعليه فإن الفصل بين العصرين كان سياسيا فقط.

الحياة السياسية:

كان العباسيون يرون أنفسهم أحق بالخلافة فلم يستسلموا و مضوا يقومون بنشاط سياسي خفي، حتى لا يصبهم ما أصابهم من العلويين الذين سالت دماءهم طويلا.

وفي هذا الوقت أعد العباسيون للأمر عدته وقام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بعد موت علي، أقام الدعاة وجعل عليهم النقباء وأوصاهم بالتكتم وكانت قاعدة انطلاقها من خرسان وتنظيم الدعوة سرا.¹⁸

¹⁶ جيرونيام جوستاف، شعراء عباسيون، دار المكتبة الحياة بيروت 1959، ص 9، ص 09

¹⁷ أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت. ج1، ص1.

¹⁸ نزل في بلدة الحميمية ببلقاء الشام علي بن عبد الله بن العباس وأسرتة وسرعان ما توثقت الصلة بين ابنه محمد وبين أبي هاشم ورأى فيه أبو هاشم خير خلف له على جماعته فلما حضرته الوفاة سنة 89 للهجرة أوصى وصية صريحة بالإمامة وبذلك وجد محمد ركيزة يعتمد عليها في

وفي هذا الوقت كان مسلم الخرساني قد نجح في اشتعال نار الحرب بين المضربة واليمينة لصالح العباسيين، وأعلن أبو مسلم الثورة على نصر بن سيار وإلى الأمويين، وفي هذه الأثناء كانت حواضر خراسان تسقط الوحدة تلوى الأخرى، واستنجد وإلى الأمويين بمروان، ولكنه لم يلق مساعدة الانشغال بثورات الخوارج، ولاحق العباسيون مروان بن محمد حتى لقي حتفه في بوصير من بلدان الصعيد لأواخر سنة 132هـ¹.

وذكر عن العباسيين أنهم افتكوا بأفراد البيت الأموي فتكا ذريعا حتى موتاهم لم يسلموا من العقاب، وقيل أن قبور الخلفاء نبشت وحرقت بقايا الجثث، ما عدا قبري معاوية وعمر بن عبد العزيز².

وهذا ما يعني أن العباسيين لم يجدوا الخلافة من طبق من ذهب فقد وجهوا الكثير من الفتن والثورات شأن الأمويين، خاصة من الأمويين والعلويين لأنهم أبناء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، كما توالى الثورات بين العباسيين أنفسهم وواجهوا المأمون ما بين سنة 201هـ 224هـ هذه الأحداث السياسية كأن لها أثر كبير في نفوس الشعراء³.

إثبات حقه في الخلافة وكان حضيف الرأي بعيد النظري، فعمد توا إلى تنظيم الدعوة سرا في مقره في الحميرية متخذا من الكوفة دار التشيع ومستقره ومهدا لها ومركزه - لتفصيل أكثر ينظر شوقي ضيف، تاريخ العصر العباسي الأول ص 10-11

¹ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ج3، ط6 دار المعارف مصر ص 139-142.

² علي بن الحسن المسعودي، مروج الذهب، ج3، مطبعة بولاق، القاهرة، سنة 1279هـ، ص 141

³ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط 11 دار المعارف القاهرة، د.ت. ص 95

مما أنتج تيارات فكرية ومذاهب مختلفة بحسب القناعة التي كانت في أنفسهم فمنهم من أيد العباسيين ومنهم من اقتنع بالعلويين ويقول شوقي ضيف "ومعنى ذلك أن الثورة العباسية لأعجمية لم تكن ثورة على العروبة من حيث هي وإنما كانت ثورة من أجل تطبيق نظرية الإسلام في المساواة بين العرب والموالي".

وجل هذه الثورات دوافعها كانت سياسية ودينية وواجه العباسيون العلويين والخوارج — لأنهم يرون أنفسهم أحق بالخلافة كونهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم أما العباسيون فأرادوا الرجوع إلى حكم الله في المواريث، مما أدى بهذه الأحداث إلى استنطاق الشعراء كل حسب مذهبه وتفكيره.

الحياة الاجتماعية:

لقد عرف العرب في الجاهلية حياة البداوة والخشونة والترحال وكانت لديهم النزعة العقلية الخاصة بهم، وبعد مجيء الإسلام وتوسع الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، دخل الترف إلى مجتمعه إثر إمتلاء خزائن الدولة بالأموال، ومع ذلك فإن هذا العصر لم يبلغ الذروة التي وصلها العصر العباسي الذين نقلوا الخلافة إلى بغداد وورثوا ما في الأرض من حضارات سياسية، كلدانية، آرامية، وبيزنطية، ويونانية وحضارات مصر القديمة.

وكانت العلوم اليونانية والعقل اليوناني من بواعث التصنيف والاشتغال بالعلوم وكان العقل الهندي من بواعث الزهد والحكمة، أما الحضارة الفارسية من بواعث

الزخرفة والتفخيم والموسيقى، وهكذا جرى في العقل العربي وعي علمي شامل، هزّ كيانه هذا عنيفاً، ومال به إلى الفطرة والتقسيم المتسلسل والتحليل، والتعليل، وإلى توسيع الثقافة العربية ووضع علوم اللغة على نحو وبيان وعروض، وما ذلك وإلى التعمد إلى صناعة علمية في الصياغة اللفظية والزخرفة التعبيرية " ويقول حنا فاخوري " الشعر العباسي مجموعة ضخمة عصفت بها المؤثرات المختلفة، وتقلبت حولها العوامل المتباينة وهذه العوامل تخلق شعرا جديدا في جوهره جديدا في فنونه ولاسيما أنهم امتزجوا بغيرهم من الشعوب امتزاجا عنصريا¹.

وبجانب الثراء والترف والغناء، انتشر المجون وشرب الخمر والغزل الماجن المناقض للعقيدة الإسلامية، عند عينة من الشعراء الذين تقربوا إلى الخلفاء والأمراء، وهذا ما يدل على الانحلال الخلقي والابتعاد عن الدين الذي ساد ذلك العصر، ومن أبرز الشعراء الذين انغمسوا في هذه الحياة هم "أبو نواس - بشار بن برد - ومسلم بن الوليد. وامتلاّت الحانات بالخمور والخمارات والقيان وانتشرت الفواحش من جهة إلاّ أنّ هناك مساجد بغداد مملوءة بالمصلحين وبالعباد، والنسك من جهة أخرى "وكان بعض الوعاظ يقتحم قصر الخليفة ليعظ الخليفة، أمثال عمرو بن عبيد وصالح بن عبد الجليل وابن السماك، وكان الوعاظ يلتحم بالقصص لأخذ العبرة والعظة².

¹ حنا فاخوري الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم - دار الجيل لبنان ص 666.

² محمد هدارة المرجع السابق، ص 12

ومن هنا ظهرت حركة الزهد في العصر العباسي الذي سبقته حركة التصوف الإسلامي، وهكذا كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تجمع بين حركتين متناقضتين، وهما المجون والزهد، "فموجة الزهد لم تكن أقل حدة من موجة المجون، ويظن أنه دخلتها عناصر أجنبية مختلفة من زهود الهنود و زهود المسيحية، ورهبانها حتى من زهود المانوية¹.

وهما نتيجتان طبيعيتان لترف والغنى الزائد في تلك الفترة يقول أنيس مقدسي "في كل عصر وفي كل قطر، إذا كثرت أسباب الغنى والترف نشأ في المجتمع البشري مجريان متطرفات: الأول مجرى العبث والخلاعة والثاني مجرى الحرص والتكشف"². إذا كلما ظهر تيارا ما لابد من أن يظهر نقيضه مثلما حدث في العصر العباسي، فالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليست الوحيدة التي ولدت تيار الزهد "إن تيار المجون كان سببا رئيسا في ظهور تيار الزهد.... إن وجود تيار الزهد المضاد لتيار المجون منطق طبيعي لتطور الأشياء³.

شعراء الزهد واتجاهاتهم.

¹ شوقي ضيف، الفن ومذهبه في الشعر العربي، ط11، دار المعارف، القاهرة، ص114

² عن مصطفى هدار، نقلا عن محمد عبد المنعم خفاجي، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هـ ص 76

³ المرجع السابق ص277

عرف العصر العباسي مجموعة من الشعراء الزهاد ومن بينهم مالك بن دينار المحدث الناسك الذي يتحدث في مجالسه عن الموت وله إشعار مختلفة موضوعها القبور وأهلها ويقول:

أتيت القبور فناديتها ن أين المعظم والمختقر
وأين المدل بسلطانه وأين المزكي إذ ما افتخر.
تفانوا جميعا فما مخبر وما توا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور¹.
كما أن هناك شعراء عاشوا حياة اللهو والمجون فترة الشباب والكهولة إلى أن بلغ بهم العمر الخمسين فأصبحوا زهاد ونسك مثل محمد بن حازم حيث يقول:

ومنتظر الموت في كل ساعة يشيد وبيني دائما ويحصن.
له حين تبلوه حقيقية موقن وأفعاله أفعال من ليس يوقن.
ومنهم من كان معتكفا على نفسه لا يدخل بلاط الخلفاء والأمراء والقواد وكانوا حارصين كل الحرص على دينهم ودنياهم ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي في قوله..

عش ما بدا لك، قصرك الموت لا مهرب منه ولا فوت
بيننا غنى بيت وبهجته زال الغنى وتفوز البيت².
وهذا النسك والزهد كان بمثابة قاعدة لظهور مذهب التصوف والحب الإلهي المتجرد من كل حسن وشغف في الدنيا فظهرت في هذا المذهب رابعة العدوية التي

¹الأصفهاني الأغاني، ج3، من ج21، ترجمة الحاج محمد، أفندي سامي المغربي التاجر بالفخامين. من نسخة قديمة بالكتابة الخديوية تصحيح أحمد

الشنقيطي مطبعة التقدم بتاريخ محمد علي مصر، ص39

² ينظر شوفي ضيف نقلا عن الجاحظ البيان والتبيين الجزء، 3، ص183-401

كانت تعيش حياة اللهو والمجون إلى أن تاب الله عليها فأصبحت زاهدة متعبدة لله فقالت في ذلك.

أحبك حين: حب الهوى وحبا لأئتك. أهل لذاكا.
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن موضوعات شعر الزهد وما يجمعه من ذم الدنيا والتذكير بالموت والبعث والتغني بالمثل الدينية وفنائها قد تحول تدريجياً إلى موضوعات التصوف وأساليبه¹.

وفي حقيقة الأمر يصعب الفصل بين الزهد والتصوف لأن المنطلق واحد ويقول عبد الستار متولي² أن شعر الزهد كان مقدمة حسنة لشعر التصوف، لذلك فقد تلازما على صورة مختلفة ولم تخل نصوص الشعر الصوفي من العناصر الزهدية للارتباط الوثيق بينهما..

لأنه صدر من أناس حققوا التصوف عملياً وعاشوا تجاربهم في حياتهم وأيضاً من بين الشعراء الذين اشتهروا بالوعظ والتصوف على بن أحمد الحسن الحصري الصوفي الواعظ، بصري الأصل سكن بغداد وكان من المتصوفة.

¹عدنان حسين العوادي، الشعر الصوفي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1986، ص111
²عبد الستار متولي، "أن شعر الزهد كان مقدمة حسنة لشعر التصوف"، ص34. 2012

وما يجدر الإشارة إليه أن بعض الوعاظ كانوا يجمعون بين العلوم والفقه والتقوى، كما وضّحهم السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى مع العلم أن هذا المذهب عرف صراعا داخليا بين المتصوف أنفسهم حول انحرافه عن الصواب والحقيقة، وفي الوقت نفسه دار الصراع بين العلماء والفقهاء من أهل السنة والسلف¹.

وقد نقل ابن الجوزي بعض من شعر الصوري الذي يؤكد فيها هذا الخلاف ويقول :

أهل التصوف قد مضوا	صار التصوف مخرقة
صار التصوف صيحة	وتواجدوا ومطرقة.
كذبتك نفسك ليس ذا	سنن الطريق الملحقة ² .

وأيضاً أبوا نواس كان من الشعراء الذين نظموا شعرا في الزهد في أواخر حياته قائلا.

أيا من ليس لي منه مجير	بعفوك من عذابك أستجير
أنا العبد المقر بكل ذنب	وأنت السيد المولى الغفور
فإن عذبتني فبسوء فعلي	وإن تغفر فأنت به جدير
أفر إليك منك، وأين إلا	إليك يفر منك المستجير ³ .

ويقول في قصيدة نجوى ودعاء

إلها إلا هنا ما أعدلك	ملك كل من ملك
لييك إن الحمد لك	
لييك إن الحمد لك	والملك لا شريك لك

¹ نزار عبد الله الغمور، الزهد في الشعر العباسي، دار الحامد للطباعة والنشر ص38

² ابن الجوزي الإمام أبو فرج بن الجوزي البغدادي، تلييس إبليس ط2، دار الفكر بيروت، 1368هـ، ص 378

³ سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص21

ما خاب عبد سألك أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك
كل نبي وملك وكل من أهل لك
وكل عبد سألك سبّح أولي فلک¹.

ولم يقف أبو نواس عن هذه الأبيات فقد أنشد قصائد رائعة في الزهد ذكرها الأصفهاني في كتابه الأغاني وهناك بيتين استوقفت الجاحظ فتن بهما وقال لا أعرف من كلام الشعر ما هو أوقع ولا أحسن من كلام أبي نواس في تلك الأبيات"

من أتقى الله فذاك الذي سبق إليه المتجرد الرائح
رح فما في الدين أغلوطة روح بما أنت له رائح²

وفي حقيقة الأمر نجهل إن كان أبو نواس زاهدا في حياته، وعرف طريق التقى والعبادة، أو أنه استبدل حياة الترف واللهو والمجون بحياة التأمل والبكاء عن المعاصي، أم كانت مجرد إثبات الذات على أنه يستطيع الإنشاد في جميع الأغراض، ليقف وقفة الرائد على الساحة الأدبية آنذاك أو أنه كان يساير المجتمع الذي عرف حركات فكرية كثيرة وبقوة، و بغض النظر عن دوافعه الحقيقة فإن شعره الزهدي لقي استحسان لدى النقاد.

ويندرج صالح بن عبد القدوس ضمن شعراء اللهو والمحبون والزندقة في فترة الشباب إلا أنه تزهد لغيره، في أواخر حياته، داعيا الناس إلى الإيمان والاستقامة وقال

¹ المرجع السابق ص 32.

² د. مصطفى شعبة الشعر في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1986، ص173 .

فو حق من سمك السماء بقدره والأرض صير للعباد مهادا
إن المصير على الذنوب لها لك صدقت قولي أو أردت عنادا.
وهذه الدعوة تصدر من شاعر عاش قمة الزندقة والمجون وهذه الأبيات تعكس
الحكمة والزهد والتفكير والعفة والأيمان.

تأوبني هم فبت أخاطبه وبت أرى النجم، ثم أراقبه
لما وابني من ريب دهر أصبرني فأنيابه يبريني ومخالبه
وأسهر في طول التفكير، إني عجت لدهر ما تقضي عجائبه
أرى عاجزا يدعى جديدا لغسمه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه
وعد يسمى عاجزا لعفاهه ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه¹
وعموما فإن الظروف السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية التي تخط فيها العصر
العباسي أدت إلى تثبيت غرض الزهد عن الشعراء وكان محور موضوعاته عن طبائع
النفس البشرية وتقلب أحوال الدنيا بما فيها ملوكها من غني إلى فقير ومن حاكم إلى
محكوم ومن حي إلى ميت.

شعر الزهد وعلاقته بالموضوع الشعري الأخرى.

¹ د. مصطفى شعبة الشعر في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1986، ص214 .

يقول أبو نواس في الزهد. رضيت لنفسك سوءها ولم تأل جهدا لمرضاها
وحسنت أقبح أعمالها وصغرت أكبر زلاتها
وكم من طريقا لأهل الصبا سلكت سبيل غواياتها
فإي دواعي الهوى عفتها ولم تجري في طرق لذاتها
وهذه القيامة قد أشرفت تريك مخاوف فزعاتها

للإطلاع أكثر على شعر أبي نواس الزهدي ينظر، سراج الدين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي، المجلد الثالث، دار راتب لبنان، ص 22-24

تتغير نفسية الشاعر أثناء تعبيره سواء كان مادحا أو مفتخرا أو متغزلا، وحين تتمعن في فن الشعر الواحد نجد خيوط رفيعة تربط بين الموضوعات المختلفة. والزهد كان تأثيره واضحا في شعر الشعراء سواء كان صاحبه زاهد في الدنيا أو اتخذ الزهد فنا ولهذا ظهر ترابط وتداخل بين الزهد والموضوعات الأخرى كالفخر والمديح والرياء وشعر الحكمة والفلسفة والمجون وغيرها من الفنون.

أولا: الزهد والفخر.

بقى فن الفخر بارزا في القرن الرابع الهجري وتخصص فيه عدد من الشعراء، وهو الفن الذي يقوم فيه الشاعر عادة بالإشادة بفضائله وفضائل قومه، والتغني بمكارمه، ومكارم القبيلة التي ينتمي إليها وذكر مواقعها وأيامها¹. وهناك بعض موضوعات الفخر التي تظهر فيها ملامح الزهد فموضوعاتهم في الفخر جاءت على ثلاثة أشكال فهناك من افتخر بالأخلاق الحميدة وهناك من أفتخر بانتسابهم لرسول صلى الله عليه وسلم وهناك من افتخر بنصرتهم لدين الله والجهاد في سبيله.

ومن بين هؤلاء الشعراء الشريف الرضي " فقد افتخر دون إدعاء ولا مبالغة ولا كذب أو اختلاف أو تزايد"². ويقول

إنا نعيب ولا نعاب ونصيب منك ولا نصاب

¹ نبيل أبو حاتم، إتحافات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1985، ص105.

² إبراهيم أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، ص341

من لّد ورد الموت لا يصفو له ابدا شراب¹.

كما افتخر الشريف الرضي بانتسابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا

أنا بن نبي الله وابن وصيه فخار علا على نده وضريبه

فو الله لا ألقى الزمان بذلة ولو حطا في فودي أمضى عروبة

ويقول أيضا:

وقالوا عجيب عجب ملك بنفسه وأين علي الأيام مثل أبي أب²

لعمرك ما اعجبت إلا بمدحهم ويحسب أني بالقصائد معجب

وهنا الشاعر كان محذرا بأن الإنسان لا ينتفع بحسبه ونسبه إن لم يكن صالح الأعمال

مخلصا، صادقا، يبتغي به وجه الله.

شعر الزهد والمديح:

احتل المديح مكانة واسعة لدى الشعراء في العصر العباسي واختلف المديح

حسب أغراض الشاعر فمنهم من كانت وجهته سياسية كالمتنبي ومنهم من كان

إشادة بمشاركتهم الحربية الفعالة كأبي فراس الحمداني، والصنوبري من الشعراء الذين

نلمح في شعرهم الزهد كالبيتين اللذين قاهما لممدوحه الذي جعله فريدا في تقواه

وصلاحه وشبهه بشهر رمضان الفريد من نوعه بين الأشهر، وتميزه كما تتميز ليلة

القدر في هذا الشهر حيث قال:

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ووقاك الإله ما تتقيه.

¹ عن نزار عبد الله الغمور، الزهد في العصر العباسي، عن الشريف الرضي ديوان 117/1

² المرجع نفسه ص112.

أنت في الناس مثل هذا الشهر في الأشهر، بل مثل ليلة القدر فيه¹
وما يجدر الإشارة إليه هو حب الخلفاء والأمراء للمديح وإن بالغ الشعراء فيه
إلا أن المديح بالتقوى والصلح فالمبالغة فيه قليلة لارتباطه بالله عز وجل، لأن الشاعر
في هذا الموضوع يتردد كثير ليقول الشعر.

الزهد والحكمة:

يقول الله تعالى " 1 Nötig?är " 2. أي علما وحكمة، والحكمة لا
تصدر إلا من رجل أختبر الحياة وخاض فيها تجارب عديدة والحكيم الذي يتقن
الأمور ويتمعن فيها.
ويدور المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمات حول النظرات الصائبة في الكون
والحياة والناس، والدين والأخلاق، وذلك بعد تأمل وإدانة ونظر في الأمور، فتشكل
لدى الإنسان فلسفة خاصة به في الحياة³.
وعرف شعر الحكمة ازدهارا واسعا في القرن الرابع هجري وكان متصلا
اتصالات وثيقا بشعر الزهد وتعددت مواضعهم الاجتماعية والدينية التي تناولها
كالأخوات والصدقة والأعمال الصالحة والسيئة مع إبراز المحاسن والعيوب في صور
مثيرة، نخص على الأخلاق الفاضلة وتنفر من الأخلاق الذميمة.

¹الصنوبري، الديوان تحقيق إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1998م ص464.

²سورة مريم، الآية 12

³ينظر حسن قرعاوي الحكمة في شعر المتنبي، ط1 دار عمار، عمان الأردن 1986، ص9

يقول أبو فراس الحمداني وهو من الشعراء الذين عرفوا حقيقة الموت والحياة فهو يفصل بينهما وأن الموت يأتي بغتة.

الدهر يـومان: ذا ثابت وذا زل¹ والعيش طعمان ذا صاب² وذا غسل
كذا الزمان فما في نعمة بطر للعارفين ولا في نقمة فشل
سعادة المرء في السراء إذا رجحت والعدل أن يتساوى الهم والجذل³
وهذه الأبيات لا تتبع إلا من رجل عاش تجارب عديدة في حياته فهو عرف السراء
والضراء وذاق طعم الفرح والحزن وعرف اليأس و الأمل. وكذلك المتأمل في الحياة
والموت أيضا

شعر الزهد و الفلسفة.

كانت الفلسفة من العلوم الجديدة التي عرفها العصر العباسي، وتعمقت في
جذور الشعر وغاصت في عمق المسائل، و أوجدت الشك في الأمور واختلاف
انطباعات الشعراء من متشائم ومتفائل وفق نفسيتهم وبيئتهم. وقد دخلت بواكير
الشعر الفلسفي إلى الأدب العربي عن طريق جلسات، سيف الدولة الحمداني، التي
ازدادت لبعض الوقت بالمعلم الثاني أبي نصر الفراء فيلسوف المسلمين حيث ظهرت
مسحة من اللون الفلسفي عند بعض شعراء الندوة، وكان المتنبّي أسرعهم التقاطا لهذه
المعاني وأقدرهم على صياغتها في شعره⁴.

¹ الزلل: الخطأ

² صاب: شجر مر.

³ ديوان أبي فراس الحمداني، شرح فيصل الدويهي، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1994، ص256

⁴ ينظر عن مصطفى شعكة، المرجع السابق، ص216 بتصرف

فهو خاض تجارب عديدة عرف العديد من البشر "فقد سلط سيفه في وجه الزمان والمجتمع والناس وفلسفة الحياة وطبيعتها¹.

وأصبح المتنبي مدرسة فيها. ويقال أن المعري أخذ الفلسفة من شعر المتنبي ولكنه زاد شيئا من الصقل والشرح والتحليل، ويظهر جليا تأثره به وحبه للشاعر ولشعره ويعد المتنبي حلقة وصل بين فكر أمتة وفلسفة حياتها.

كما تطرق إلى فلسفة الحياة والموت أبو الحسن التهامي في مرتبته المشهورة لولده قائلا:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار بقاء

ويقول في وصف الدنيا

طبت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقدار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار².

يقف الشاعر وقفة تأمل لخطمية الموت على كل آدم فهو عاجلا آم آجلا راحل عن الدنيا الزائلة، وكيف يعيش الإنسان فيها واصفا مطامح ومطالب الناس في أشياء يصعب الظفر بها.

شعر أبو العتاهية قبل الزهد.

¹ ينظر نزار عبد الغمور نقلا عن حسن القرعاوي ص 155

² المرجع السابق ص 158

قبل أن نتوغل في شعر الزهد عند أبي العتاهية علينا العودة إلى النشأة والظروف التي أوجدت منه شاعرا ذو وزن ثقيل في الأدب العربي والعباسي خصوصا، ويتربع على مساحة كبيرة و واسعة في شعر الزهد.

وهو أبو إسحاق بن القاسم بن سويد العنزي، نشأ بالكوفة وكان يعمل في الجرار هو أهله، ومرة سئل عن الجرار فأجاب "أنا جرار القوافي وأخي جار التجارة"¹ حدث بعض معاصريه أن أبا العتاهية كان ينشد الشعر للمتأدبين فكانوا يشترون الخزف المكسور فيكتبونها ويقال أنه كني بأبي العتاهية لأنه كان يحب الشهوة والمجون ، وقيل أيضا كني بابي العتاهية أن الخليفة المهدي قال له يوما "أنت إنسان متخذا متعته، فاستوت له من ذلك كنيته غلبت عليه دون اسمه"².

ويقال للرجل المتحذلق عتاهية وفيه يقول واليه بن الحباب وكان يهاجيه

كأن فينا يكنى أبا إسحاق و بها الركب سار في الأفاق
فتكنى معوهتها بعته يالها كنية أتت باتفاق.
خلق الله لك حية لك إلا م تنقل معقودة بداء الحلق

وهذه الأبيات خير دليل على أن العتاهية كنيته وليس اسمه الحقيقي. اتصل أبو العتاهية ببلاط العباسيين ومدح المهدي والرشيد، ومات في خلافه المأمون. والجدير بالذكر حسب ما وضحه المؤرخون والمستشرقان نلسون و هوار أن أبا العتاهية عربي

¹ ينظر كتاب الأغاني للأصفهاني ج3 من 21 جزء (الترم طبع الكتاب حضرة المحترم محمد افندي سامي المغربي التاجر بالفخامة من نسخة قديمة

بالكتابة الخديوية، تصحح الأستاذ أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، د.ت. ص 121-123

² ينظر نفس المصدر، ص 127

الأصل، وفي الأغاني عن محمد بن موسى قال "ولاء أبي العتاهية من قبل أبيه لعنزة ومن قبل أمه لبني زهرة.

واتهم الشاعر بالزندقة مع أن هذا الإتهام كان يوجه للفرس أو من هو من غير أصول عربية.

وكان يلحظ عن أبي العتاهية أنه ليس شديد التمسك بنسبه أما اتهامه بالزندقة، فلم يثبت ذلك في شعره والدليل على ذلك لم يذكره ابن نديم في جملة الشعراء الزنادقة¹.

وعرف أبو العتاهية بتقلب المزاج وعدم استقراره على رأي واحد. كما قال العلامة زيدان: "...وكان أبو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في أمر الدين، فتقلب على أطوار شتى شأن الذين يجلون أنفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد².

قال أبو العتاهية:

لا يصلح النفس إذا كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال³

أما في الزندقة فهناك أبيات تنسب له و تثبت زندقته

إذا ما استجزت الشك في بعض ما ترى فما لا تراه الدهر أمضى واجوزا

¹ أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ص150

² الأصفهاني، الأغاني المصدر سابق، ص151.

³ أبي الحسن علي بن بسام الشسريني، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ص587.

وقوله في عتبة.

يارب لو أنسيتها بما في جنة الفردوس لم أنساها
إن المليك رآك أحسن خلقه و رأى جمالك¹

ومن الناحية الأدبية يمكن تقسيم حياة أبي العتاهية إلى قسمين متناقضين:

الأول: حياة الغزل والمنادمة حيث عاش حياته في فترة شبابه كبقية شعراء عصره

فقد أنشد في الغزل والمجنون والرتاء والمديح والفخر.

الثاني: حياة الوعظ والتقشف فهو أصبح زاهدا عندما قارب الخمسين من عمره

وذكره الأصفهاني في الأغاني: " كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد في سفر لا حضر

إلا في طريق الحج، وكان يجرى عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز

والمعادن ، فلما قدم الرشيد الرقة سنة (181) لبس الشاعر الصوف وتزهد وترك

حضور المنادمة والقول في الغزل"².

الغزل:

وفي الغزل أبو العتاهية من الشعراء الذين أبدعوا وأجادوا فيه وعبر عن واقعه

وخلجات نفسه، وكان غزله عفيفا وعذريا اتجه عتبة جارية الرشيد التي أحبها حبا

شديدا ونظم فيها غزلا بإحساس مرهف ومشاعر رقيقة وصادقة، لا تنبع إلا من

رجل أحرقه الشوق من حب مستحيل، دفع ثمنه الدخول إلى السجن، وروي عن

¹ الأصفهاني، الأغاني المصدر سابق، ص151

² نفس المصدر، ص158،

المسعودي " أنه لم ينقطع عن حب عتبة، وبقيت في قلبه شرارة الحب مشتعلة بالرغم كونه متزوجاً"¹ وقال فيها:

يا عتب سيّدتي أما لك دين	حتى متى قلبي لديك رهين
وأنا الذّلّول لكل ما حمّلتني	وأنا الشقي البائس المسكين
وأنا الغداة لكل باك مسعد	ولكل حب صاحب وخدين
لابأس إن لذاك عندي راحة	لصب أن يلقي الحزين حزين
يا عتب أين أفر منك أميري	وعلى حصين من هواك حصين ² .

وفي قصائد أخرى نجده تغزل بزوجته بعبارات سلسلة وأحاسيس مرهفة لا تقل عن التي أنشدها في عتبة حيث قال:

من لقب متيّم مشتاق	شقه شوقه وطول الفراق
طال شوقي إلى قعيدة بيتي	ليت شعري فهل لنا من تلاقي
هي خطى قد اقتصرت عليها	من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بك شملي	عن قريب وفكني من وثاقي.

وقال في الغزل أيضا

كأنها من حسنّها درة	أخرجها اليم إلى الساحل
كان فيها وفي طرفها	سوا حرا أقبلن من نابل
لم يبقى مني حبها ما خلا	حشاشة في دين ناحل

الرثاء: في الحياة حقيقة واحدة آمنت بها الشعوب باختلاق الأجناس والأنساب والعقيدة ألا وهي الموت، التي هي مصير كل كائن طال عمره أو قصر، وطالما بكى

¹ عن أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص135، بتصرف.

² الأصفهاني، المصدر السابق، ص140

الشعراء العرب موتاهم فحين نتوغل في جذوره نجد الرثاء منذ العصر الجاهلي، وهو أكثر الأغراض انتشاراً بحكم النزعة القبلية السائدة آنذاك. وخير ما نستشهد به والجدير بذكرها هي الخنساء التي بكت آخاها كثيراً، وبقي هذا الغرض مرافقاً للعصور اللاحقة. ورثي الشعراء خلفاءهم وأبناءهم وعلماءهم ورفقاء دربهم، وعبروا عن حزنهم بالعاطفة الصادقة، وذرفوا الكثير من الدموع، كما عبر أبو العتاهية عن حزنه الشديد أثر فقدانه صاحبه على بن ثابت فقال.

مؤنس كان لي هلك والسبيل التي سلك
يا علي بن ثابت غفر الله لي ولك
كل حي حملك سوف يفنى وما ملك¹
ووقف على قبره وبكى عليه أحر بكاء.

وفي العصر العباسي كباقي العصور عرف رثاء الخلفاء أو القواد أو الوزراء وفصلوا في صفاتهم ومحاسنهم. ورثى أبو العتاهية يزيد بن منصور وكان باراً بأبي العتاهية :

أنعى يزيد بن منصور إلى البشر أنعى يزيد لأهل البدو والخصر
يا ساكن الحفرة المهجور ساكنها بعد المقاصر والأبواب والحجر
فلست أدري جزاك الله صالحة أمنظري اليوم أسوا فيك أم خبري².

في المديح:

¹ الأصفهاني، المصدر السابق، ص 146

² الأصفهاني، المصدر السابق، ص 139

يعتبر المديح من الأغراض الضاربة في القدم وفي العصر العباسي الأول كان المديح امتدادا لسابقه من العصور، وإن اختلفت الناس والشعراء خصوصا عبر العصور. فإن مزايا الممدوح لم تتغير، وإن اختلفت صفاتهم. وأنواع المديح كثيرة، فهناك من مدح الخلفاء وهناك من مدح الوزراء ولأوطان والبلدان.

أما فيما يخص المادح فأغراضه تختلف من شاعر لآخر فهناك من يمدح بغية المال وهناك من أراد التقرب من الممدوح ونيل رضاه: وأبو العتاهية لم يغب عنه هذا الغرض وقال في مدح الهارون.

وهارون ماء المزن يشفي به الصدى	ذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
و واسط بيت في قريش لبيته	وأول عز في قريش وآخره.
وزحف له تحكى البرق سيوفه	وتحكى الرعود القاصفات حوافره
إذا حميت شمس النهار تضاحكت	إلى الشمس فيه بيضه ومغافره
إذا نكب الإسلام يوما بنكبة	فهارون من بيت البرية ثائره ¹

نفسية أبي العتاهية.

عاش أبو العتاهية في عصر امتاز بالأزمات النفسية والعقلية وظهر موجة من الشك والحيرة نتيجة اختلاط الأجناس والثقافات وكان شاعرا رفيع المكانة عند الخلفاء وفي عهد الرشيد أقلع عن الغزل وانصرف إلى ازهدن وكان الرشيد حبسه

¹ المصدر نفسه، ص 127

ليعود إلى الغزل، لكن اتجاهه النفسي كان أقوم من أن يقاوم تلك الموجة " فاتهم بالبخل والزندقة وسوء العقيدة، ولكنه في الأخير استقر رأي أبي العتاهية أخيراً التمسك بالإسلام والزهد عن الدنيا"¹.

فحياة أبي العتاهية يمكن أن ترسم على شكل ذبذبات تتسع وتضيق وهي في اتساعها تقترب من حدود اليقين أو تتجاوزها ولكن تعود سيرتها الأولى من التذبذب والاضطراب، حتى انتهى به الأمر أخيراً إلى اختيار الحد إلى منطقة اليقين بصفة نهائية، بعد ذبذبات متسعة متلاحقة بصفة نهائية وحين اجتاز الاضطراب والحيرة واليقين، تبين يقينه مخلصاً فيه وسخر منه في خدمة حياته الجديدة².

آراء الشعراء في شعر أبي العتاهية:

بالرغم من التنافس الذي كان بين الشعراء لنيل أعلى المراتب، إلا أن شعره الحسن والقريب المأخذ واقتداره على ديباجته. ذكر اليزيدي عن الفراء قال: دخلت على جعفر بن يحيى فقال: يا أبا زكريا ما فيما أقول قلت: وما تقول: قال أزعم أن أبا العتاهية أشهر أهل العصر، فقلت هو و الله قولي وهو أشعرهم عندي³. أما أبو نواس فقال عنه أنه أشعر الأنس والجن⁴.

¹ حنا الفاخوري عن جورج زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية ج2، ص68، ومنا فاخوري ص514.

² عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث هجري د.ط. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1954، ص204-205 بتصرف.

³ الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية، جمعه أحد الأدباء اليسوعيين، نقلا عن رواية النمري وكتب مشاهير الأدباء، مطبعة الأدباء اليسوعيين، بيروت، سنة 1886، ص07.

⁴ لمى سعدون جاسم، الزهد في شعر أبي العتاهية، مجلة الجامعة الإسلامية العدد (1/21)، ص24 بتصرف.

زهد أبي العتاهية:

إن الدافع للزهد عموماً يكون دينياً بالدرجة الأولى ثم دنيائياً في الدرجة الثانية، وبالنسبة لأبي العتاهية فقد طعن في دينه في فترة شبابه، إلا أن القارئ لديوانه يجدّه مملوءاً بشعره الإيماني التوحيد الخالص. أم العوامل الدنيائية فكثير أهمها أن الشاعر عان من الكآبة والعزلة، والفشل الذي عرفه في الحب بدءاً من جارية المهدي ولم يظهر بها، ولأنه نشأ في وسط فقير، حيث حرم من متعة الحياة، وربما أغرب بسبب هو اتفاقية سرية بين الشاعر من جهة والفضل بن الربيع مع زبيدة من جهة أخرى لإبعاد الرشيد عن مجالس الإنس والطرب والجواري منافسات زبيدة .

من الأسباب الأخرى ربما تعود إلى بخله وحبّه للمال حبا جما وهذا ما أكدّه صاحب الأغاني، وبالإضافة إلى هذا كله فقد عرف عن أبي العتاهية كان رقيق ولين المعاملة فهو لا يبادل الشر بالشر.

مواضيع زهده:

تعددت مواضيع ديوان أبي العتاهية لكن أغلبها كان في صور الدنيا أنها مجمع أباطيل خداعة فانية وعنون معظم قصائده بها، إن لم يكن بلفظها الصريح، فبمعاني تصب في نفس الموضوع، كما ذكر الموت بكثرة كونه الاتجاه المعاكس للدنيا وهو المرحلة الأخيرة التي سيمر به كل كائن حي، وأن الآخرة هي دار البقاء والديمومة،

مثل (لعمرك ما الدنيا بدار بقاء) (ألا نحن في دار قليل بقاءها) تصب لنا دون

تفكير يا دنيا)...الخ

وسوف نعرض بعض من قصائده الزهدية التي ستكون محور دراستنا التطبيقية

في الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني:

الصورة الشعرية في زهديات أبي العتاهية

شعرية البيان.

التشبيه، الاستعارة، الكناية.

شعرية البديع.

الطباق.

البنية التركيبية.

الإنزياح التركيبي

الأساليب (الإستثناء، النفي، الإستفهام، الشرط، النداء)

تعتبر اللغة الشعرية عامة والزهدية بخاصة، مجازية قابلة لعدة قراءات، لما تحملها في طياتها من خيال يترجم بالألفاظ والمعاني المنصهرة في البيان من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز مرسل، مزخرفة بألوان البديع من طباق ومقابلة وتختلف طرق التعبير من إيجاز وإطناب ووصل وفصل والأساليب قد تكون خبرية في موضع وإنشائية في مواضع أخرى.

وتقوم الصورة الشعرية على المشابهة كما هو الحال في الاستعارة والمجازورة، كما هو الحال في الكناية والمجاز والمرسل¹.

فاللغة الشعرية نسيج من الألوان والصور، وعند كولودج " قد تكون منظرا أو نسخة من المحسوس، وقد تكون أي فكرة أو أي حديث ذهن يشمل شيئا ما وقد يكون شكلا من أشكال البيان².

وبالتالي فالصورة الشعرية عند كولودج قوامها الخيال الإبداعي، أو الصورة الذهنية الذي يركز عليه الشاعر وفي الشعر العربي " الوحدة التي تسيطر على العمل الخيالي تعني بتوافق التام بين العقل بين الملاحظة الصادقة والملكة المتخيلة بين المحسوس واللامحسوس³. ومن ثم فإن الصورة الشعرية لا

¹ ينظر لخضر حاكمي عن فرانسو مورو، البلاغة نقلا عن رابح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها عن الخطاب الشعري ص151.

² ينظر من المكتبة الإلكترونية مسعد محمد زيادة نقلا عن محمد زكي ع شماوي قضايا النقد الأدبي ص 74.

³ ينظر مصطفى ناصف الصورة الأدبية مكتبة مصر ط1، 1958، ص16.

تكتمل صورتها إلا إذا اجتمعت كل عناصر الإبداع من خيال، وما تقتضيه اللغة التعبيرية وتقريب اللاحسوس إلى المحسوس لتكون لذة عند القارئ كل ما أعاد قراءة النص، "فالاختلاف يتطلبه العصر بمكوناته الثقافية والفرق يكمن في أن النظرة القديمة حرس على إيجاد الشبه الحسي بين طرفي التشبيه في العالم الخارجي، وألحت على التطابق والتجانس بين الممثلات في حين أن النظرة المعاصرة للتشبيه تقيم التماثل وفق الإدراك الداخلي لحركة الأشياء وانفعال الشاعر بها"⁴، وبالتالي فإن الشاعر أمام مهمة خلق ديناميكية وحيوية في شعره يبعد الملل عن القارئ.

الصورة الشعرية البليانية:

التشبيه:

لا يخلو الشعر الزهدي من الصورة المجازية فهو كغيره من الشعر المليء بالصورة المجازية والذي يعد من دونها نصا جافا، ويقول كولودج "الشعر من غير المجاز يصبح كتلة جامدة ذلك أن الصورة هي جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة."⁵، ويقوم التشبيه على التماثل بين الأشياء، وهو ركن من أركان اللغة العربية، فهو يخرج ما في ذات الإنسان من الداخل

⁴ عبد الحميد قاوي، الصورة الشعرية بين النظرية والتطبيق، نقلا عن موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص132

⁵ عن علي لخصر الحاكمي ديوان ترجمان الأشواق لابن العبي مقاربة أسلوبية نقل عن اليزابيت دورو الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة محمد إبراهيم الشوش منشورات مكتبة منيمة، ط1 بيروت لبنان، ص280.

إلى الخارج، ويجعل البعيد قريب فيسهم في ذلك إلى رفع المعاني ويبعدها عن الرذيل الرديء. والتشبيه أربع عناصر تستدعي الجمع بها كلها أو الاكتفاء بأحد عناصره وهي المشبه + المشبه به + أداة التشبيه + وجه الشبه، ويعرفه ابن رشيق (التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكلة من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأن لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه)⁶

وقد أخذ التشبيه حيزا وافرا من شعر أبي العتاهية وقال موظفا أداة

الكاف

وجدت له على اللهوات بردا كبرد الماء حين صفا وطابا
وليس بحاكم من لايبالي أخطأ في الحكومة أم أصابا
كأن محاسن الدنيا سراب وأي يد تنالون السرايا⁷

وهذه الأبيات مأخوذة من قصيدة ندم الحرص على الدنيا ويصف هجمة الموت كل كائن وهذا التشبيه كامل الأطراف، وهو ترتيب أصلي في البيت الأول حيث كان المشتبه اللاهوت والأداة الكاف والمشبه به برودة الماء.

⁶ أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده حققه محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل للنشر

والتوزيع ص286

⁷ ديوان أبي العتاهية ص16.

أما البيت الثالث فكان الترتيب فرعي لأنه أركان التشبيه لم تأت مرتبة، لأنه قدم الأدوات كأن والمشبه (المحاسن) والمشبه به (السراب).

وقال يذكر أيام الشباب:

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يعن البكاء ولا النحيب
فيا أسفا أسفن على شباب نعاه الشيب والرأس الخصيب
عريت من الشباب وكنت عظما كما تعري من الورق القضيبي
فيا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

هذا الترتيب أصلي لأن الشاعر راع ترتيب عناصر التشبيه فالمشبه (عظما) وأداة التشبيه (الكاف) والمشبه به (عراء القضيبي) ووجه الشبه ذو الجمال والحيوية، فالقضيبي يكتسب جماله بالأوراق والشباب هو الجمال في الإنسان "فوقوع التشبيه إنما هو إبداء على الأعراض لا على الجواهر لأن الجواهر في الأصل واحد، وإن اختلفت أنواعها أو اتفقت فقد يشبهون الشيء باسمه وتطيره من غير جنسه، عين كعين ، وجيد كجيد الرائم"⁸.

وهذا النوع من التشبيه يقوم على تعويض مشهد بآخر تعويضا لا يؤثر فيه لأعداد العناصر التي يقوم عليها، ولا ترتيبها، فهو يستوفي كل العناصر وبتنظيمها على ترتيب أصلي⁹.

⁸ ابن رشيق المصدر السابق، ص264، باب التشبيه.

⁹ عن لخضر الحاكمي المرجع السابق، نقلا عن الهادي طرابلسي، ص144.

التشبيه بتوظيف الأداة (مثل)

إنما ننفي الحياة المنيايا مثلما ينفي المشيب الشبابا

ما أوى الدنيا على كل حي نالها إلا أذى وعزايا

بينما الإنسان حي قوي إذا دعاه يومه فأجابا

وظف الشاعر أداة التشبيه مثل وهو ترتيب أصلي، المشبه + الأداة +

المشبه به. فالمشبه هو الموت، والأداة (مثل) والمشبه به (المشيب)، أما وجه

الشبه فهو نهاية الحياة بالموت ونهاية الشباب بالمشيب، ويقول صاحب

العمدة "ودخول التشبيه مع الكاف وأمثالها أو كأن وما مشاكلها شيء

بشيء في بيت واحد، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب .

كان قلوب الطير رطبا ويابسا أدى وكرها العتاب والحسف البالي

فشبه شيئين بشيء واحد¹⁰.

ويقول أبو العتاهية في تغافل الإنسان وتعاميه

غلب اليقين على شكافي الردى حتى تأتني لأره عيانا

فعميت حتى صرت كأنني أعطيت من زيت المنون أمانا¹¹

ففي البيت الأول جاء التشبيه غير كامل الأطراف لأن المشبه به لم يوضحه

الشاعر وإنما يفهم من خلال المعنى فقط، ويتمثل في غفلته عن حقيقة

الموت، وقد وفق الشاعر من خلال التشبيه للنقل صورة الموت المحتمة، أي

¹⁰ العمدة المصدر السابق، ص 191

¹¹ ديوان أبو العتاهية، ص 234.

كل ما هو غيبي إلا الواقع المعاش، وهي الدنيا بكل ما فيها من صالح الأحوال والأعمال وأرذل الأفعال.

الاستعارة:

الاستعارة هي تشبيه دون توظيف للأداة حذف أحد طرفيه الأساسين إما المشبه أو المشبه به، وقرينة تدل على أحدهما "والاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام، إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها، والناس مختلفون فيها منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه"¹².

وقسم البلاغيون الاستعارة إلى قسمين تصريحية وهي التي صرح فيها بلفظ المشبه به ومكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشي من لوازمه¹³.

والاستعارة في نظامها اللغوي تنشق من ثقافة الشاعر وقدرة تأسيسه لخطاب ضمن الحقل العرفاني بعبارات ومعاني تستقطب القارئ، ويقول القاضي الجورجاني "الاستعارة اكتفى فيها الاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة، فجعلت في مكان غيرها وملاكها بقرب التشبيه ومناسبة

¹² العمدة ص 268-287

¹³ ينظر سمير أبو حمدان، الإبلاغة العربية منشورات عويدات الدولية بيروت لبنان، ط1، 1991، ص160-162

المستعار للمستعار له وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين أحدهما إعراض عن الآخر¹⁴.

واستعارة الزاهد من عالم المحسوس ما يوافق مقامه ويجمع في ذلك ما بين عالمين متناقضين وهو عالم الحياة والموت، وتكتسب الاستعارة في النقد الحديث قيمتها الجمالية من قدرتها " على نقل حالة شعورية يحياها الأديب مما يتطلب خلق تصورات غير مألوفة في سياق القصيدة أو العمل النثري ويتشكل العمل الأسلوبي من خلال التركيب اللغوي، بعلاقات جديدة، و إرتباط بين أطراف الجملة"¹⁵.

يقول أبي العتاهية: في قصائد مختلفة:

ساعات ليلك والنهار كلاهما	سل إليك (وهن يسرعن الخطأ)
(إنما المشيب لابن آدم ناع	قام في عرضيه ثم نعاه
كيف تريد أن تدعي حكيمًا	وأنت (كل ما تهوى ركوب)
صفة الزمان (حكيمة وبليغة)	إن الزمان (لشاعر وخطيب)
وقد يكلمك الزمان بالسن	عربية وأراك لتستجيب
والموت يرتصد القوس وكلها	للموت فيه وللتراب نصيب
تطرب نفسي نحو دنيا دنية	إلى أي دار ويح نفسي تطريث
وذو الصدق لا يرتاب والعدل	قائم على طرقات الحق والشر أعوج

¹⁴ العمدة، ص270.

¹⁵ ينظر محمد القاوي، الصورة الشعرية نقلا عن فايز الداية جماليات الأسلوب ص114

وإذا المرء لم يمدحه حسن فعاله فليس له والحمد مادم
 ألم تر أن للأيام وحق وأن لوقعها عقرا وصرعا
 تجلى الاستعارة في الأبيات المنتقاة وكلها مكنية حيث جسدها فيها
 الشاعر حقيقة الموت والحياة تجسيدا من العناصر الكونية (إن الاستعارة هي
 التي ترسم الشيء، بشكل أفضل مما تفعله كل المحسنات الخطاب، إنها
 تكسب وصف الشيء الأشياء والقوة، وتكسبه التلوين والمادية، وصفات
 أخرى حسية لتصورات الفهم إنها تعرضه بشكل من الأشكال أمام أعيننا.
 إذا كانت الاستعارة تقوم على المشابهة كما ذكرنا سابقا يتوجب وضع
 جدول لفهم العلاقة وما يجمع بينهما من معنى وما لها من اثر بلاغي التارك
 وقعا ذات القارئ التي تلزمه قراءة صحيحة وناجحة.

المشبه	المشبه به	علاقة المشابهة
الموت حصنا	القصور المحصنة والبيوت المشيدة	القوة التي تقهر واستحالة الخروج من الموت فهي مسكن دائم لا مفر منه.
الدنيا بظهر الأرض بطنا	الإنسان فالظهر والبطن من أعضاء جسمه وقد يكون أي كانت على الأرض	انقلاب حالات الإنسان فهو يقضي مدة زمنية معينة على ظهر الأرض لله سرعان ما يسكن باطنها
طحتهم الأيام	الرحى	الطحن يدل على العسر والشدة

والعيش في كبد دون راحة		
هناك واقفة	المرأة	شبه الموت بالمرأة الواقفة، والوقوف يدل على الحزم والتصدي والصمود دون الخوف من الواقع أمامها
وطعم حسن الموت	الشراب	شبه الموت بالشراب دون الإفصاح عن لونه وهذا قه لأنه سكرات الموت تختلف من شخص لآخر
وأخدع الليل	الإنسان الماكر	فالليل راحة وسكن لكنه سرعان ما يندثر يصبح جديد
قلب الزمان سواد رأسك أبيضاً	المشيب والشباب	إن المشبه بدلالة على كبر السن والكبير في السن الأقرب إلى الموت، وعلاماته متجلية في الجسد الذي صورته بإنسان ينعيك بن زهاب فترة الشباب التي تمضي دون رجعة، شأنه شأن الموت إذا فتك بإنسان فلا رجعة له إلى الحياة
نعاك جسمك	الإنسان الناعي	
وكأس الموت دائرة لا تسريب بكأس الموت منجدلاً يوماً كما شرب		الحمام مصير كل حي يقول تتعالى وكل نفس ذائقة الموت
فما تزال سهام الموت نافذة	الرماة	كأن الموت تترصد لبني آدم وكأنه خصم لها أو فريسة تريد أن تظهر به

والساعات مسرعة	الإنسان	كل شيء خلقه الله تعالى له وقت معلوم فهو خلق الأرض في ستة أيام واستوى على العرض والإنسان ثانية ساهه دون تقديم أو تأخير
ساعات الليل والنهار كلاهما (وهن سيرين للخطأ)		
لعمرك ما تهب الرياح (نعاك مصرحا)	الإنسان	تهب الرياح دون سابق إنذار كما يأتي الموت بغتة حيث لا تدري نفس متى تموت وبأني أرض تموت
لكل ما تهون ركوب	الركوب لكل شيء متنقل	أراج الشاعر أن يشير إلى انغماس البشر في ملذات الدنيا وانصهارهم في هواها
حكمة وبلغة الشاعر وخطيب	الإنسان البليغ الفصيح	إن الحكمة لا تصدر إلا على الذي عاش طويلا واختير الحياة وخاض فيها تحارب عديدة كما يختبر الزمان الناس باختلاف أدبائهم وألسنتهم وهذا وأفعالهم وأقوالهم
يكلمك الزمان بالسن عربية		
تضرب نفسي	الموسيقى	الاستمتاع والتراقص على نغمة أهواء الدنيا وملذاتها
العدل قائم على طرقات الحق والشد أعوج	القاضي العادل	إن طريق الحق مستقيم لا اعوجاج فيه وعلى الإنسان أن يتحلى بصفات عديدة ومن بينها بصفات عديدة ومن بينها العدل

من بديع الاستعارة أن العلاقة بين المشبه والمشبه به تجنب التنافر بين الألفاظ من تبسيط المعنى العميق ومن هنا تأتي - الاستعارة للجمع بين الانزياحين بعيدا عن المنافرة وهي "تعتبر خرقا لقانون الكلام، لأنها لا تحدث إل على مستوى محور التعاقب، والاستعارة خرق لقانون اللغة، لأنها لا تشكل إلى على مستوى محور الأدراج¹.

والاستعارة في زهديات أبي العتاهية تجسيد لواقع يعيشه الإنسان، وجمع فيها صورا حسية واللاحسية فقد قرب الصورة العينية للقارئ والمتعلقة في الموت لتهيئة وتعداده لهذا الأمر الغيبي.

الكناية :

تدرج الكناية ضمن علم البيان الأدبي وقد حظيت بالدراسة من قبل البلاغيين وهي "كل لفظة دلت على معنى يجور حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما²". وهي قوة فكرية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفة قريحته وطريق جميل من طرق التعبير الفني يلجأ إليها الأدباء

¹ رابح بحوش، للسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري دار العلوم 2006، ص172

² ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر، تج محمد محي الدين المكتبة العصرية لبنان ج2، ص182- 1999

للإفصاح عن ما يدور بخليهم من المعاني وبأحاثين في نفوسهم عن المخاطر¹

الكناية لغة:

الكلام بما يريد به خلاف الظاهر

اصطلاحاً: لفظ أريد به غير معناه الموضوع له، مع إمكان إرادة المعنى الحقيقي لعدم نصب قرينه على خلافه، والكناية تفيد القوة في المعنى والتعبير عن أمور يتحاشى الإنسان عن ذكرها احتراماً للمخاطب، أو النيل من الخصم دون أن يدع له مأخذاً يأخذه به².

ومن الطبيعي أن نلقي في اللغة الشعرية لأبي العتاهية هذا المسلك كونها تمنح الأسلوب جمالا ورونقا ويعطي المعنى قوة ورسوخا في الذهن لما فيها من الخفاء اللطيف³ ويرى عبد القاهر جرجاني الكناية. "أن يريد المتكلم إثبات معنى المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى المعنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليل عليه"⁴.

¹ السكاكي مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1987، بتصرف

² من المكتبة الإلكترونية

, com ; froums/vskou kread.www.ainfekka

³ السكاكي مفتاح العلوم ضبطه وكتب هوامشه، وعلق عليه أزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1987م

⁴ ينظر المرجع السابق الصورة الشعرية بين النظرية والتطبيق نقلا عن عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص16 بتصرف

وتقوم الكناية على علاقة الترابط والتلازم بين المعنى الواضح للفظ صريح وما هو خفي البعيد المكنى عنه، ومن هنا تأتي المخالفة مع المشابهة في الاستعارة والتشبيه، وقسم البلاغيون الكناية إلى ثلاثة أقسام وهي الكناية في صفة والكناية عن موضوع والكناية عن نسبة

ووردت الكناية في زهديات العتاهية أقل نسبة مقارنة بالاستعارة واتسمت بالوضوح وبساطة اللفظ مما يسهل من المعنى الأصلي إلى المعنى الخفي ومنه ما قال.

- | | | |
|---|-----------------------------|---------------------------------|
| 3 | الموت حق (والدار فانية | وكل نفس تجري بما كسبت |
| 7 | ما كل ذي حاجة بمدركها | كم من يلا تنال ما طلبت |
| 6 | من يبرم الانتفاض منها ومن | يخمد نيرانها إذا التهبست |
| 8 | يارب عين للشـر حالية | فتلك عين تجلى بما جلبت |
| 5 | نحن في دار بلا وأذى | وشقاء وعناء وعنـت |
| 6 | عش ما بدا لك أن تعيش بغيظه | ما أقري الحيا الطويل من الممات |
| 3 | وكم من ملوك شيتول وتحصنوا | فما سيقوا الأيام شيئا ولا فاتوا |
| 2 | وعممت من نسخ القبور عمامة | رقوع البلى مرقومة في عماهي |
| 3 | يغر الفقى تحريكه وسكونه | ولابد يوما تمكن الحركات |
| 1 | الا إن لي تحريكه وسكونه | ولابد يوما تمكن الحركات |
| 4 | شافعي للناس الشباب الذي مضى | تحرمت الدنيا الشباب وشيبت |
| 5 | وأقل القليل يغنى ويكفى | ليس يغنى وليس يكفي الكثير |

- 2 بينا الفتى بالصخاء مغتبط حتى رماه الزمان بالكدر
- 1 ياعجبا لي أقمت في وطن ساكنه كلهم على السفر
- 0 وما زلت أرضى كل يوم بغيره تكاد لها صم الجبال تصبح
- 9 كل حتى يستطعم الموت كرها ثم خلف الممات (يوم فظيع)
- 7 تشرف الناس بالدنيا وقد غرقوا فيها فكل على أمواجها طاف.
- 2 ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك¹
- 1 إلا لتقل السلطان على مالك فقد انقضى ملكه أين ملك

الدال	المدلول الأول	المدلول الثاني
والدار فانية	المسكن والإقامة	الدنيا الفانية الغير باقية الأيلة للزوال
لا تنال ما طلبت	الرغبة في الأشياء	من طبع الإنسان أن يدرك كل شيء ويملك كل ما يرغب فيه
بحمد نيرانها إذا التهبت	شدة وقوة الاشتعال	يوم الحساب تتهياً جهنم بدركاتها الاستقبال الآثمين والمذنبين قال تعالى: "إذا الجحيم سعرت" وهو دلالة على صعوبة الموقف
عين للشـر جاذبة	لفت الانتباه	أن العين تغريها ملذات الدنيا وحرمتها والبيت هنا تحذير عن الوقوع في الحرام
ثم في دار بلاء	الاستقرار	الدنيا دار بلاء وعناء وأذية لبني آدم إن لم يتحكم في نفسه، وشقاء لمن

¹ قال المسعودي: ولو لم يكن لأبي العتاهية الأهداف الأبيات التي أبان فيها صدق الأخاد ومحفض الوفاء لكان صبرا على غيره ممن كان في عصره جدت الرياني فقال: قدم رسول ملك الروم إلى الرشيد فسأل عن أبي العتاهية وأنشدته شيئا من شعره وكان يحسن العربية فمضى ملك الروم وذكره لمن فكتب ملك الروم إليه ورد رسول يسأل الرشيد أن يوجهه إلى أبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد والـخ في ذلك من شعراء أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباد مدينته من الديوان ص162

يعيش في ضنكة يقول تعالى "خلقنا الإنسان في كبد"		
مهما عاش الإنسان طويلا زاد اقترابه للموت	الأجل	ما أقرب المحيا الطويل من الممات
إن الذي يعيش أيامه، فلا بد من يوم سيعرف الموت فهو ينقضي والأيام لا تنقضي.	الصراع	مما سيقوا الأيام شيئا ولا فاتوا
العدد الكثير الذي لا يعد ولا يحصى من الذنوب		أقوام البلى مرقومة في عمامي
كناية عن حالة الجسم عندما يتصلب في مماته فلا يتحرك ساكنا	الموت	ولا بد يوما تسكن الحركات
كناية عن يوم النشور حيث يتطير المصاحف فمن يأتيه كتابه يمينه فهو في سعادة وأما من أثاث عن شماله فهو في شقاء.	يوم القيامة	ليحصى كتابه ما أسأت وأحسن
كناية عن الإنسان القنوع الذي يكتفي بالقليل على عكس الإنسان الطامع الذي لا يشبع	الفناء	وأقل القليل يغني ويكفي وليس يكفي الكثير
كل من على وجه الأرض فهو فان من إنسان وحيوان ونبات ويقول		سأكنهم كلهم على سفر

تعالى "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"		
كناية عن خطورة الأمور التي يعرفها في دنياه	الكبر في السن	مازلت أرمي كل يوم بعبرة تكاد لها صم الحبال تصدع
كناية عن عظمة يوم القيامة وأهدافها		يوم فظيع
كناية عن انغماس الناس في الدنيا ووقوعهم فريسة أعمالهم والطوفان هو كل شيء لا يقبل الماء الامتزاج به، وبالتالي فكل حي غير باق على هذه الأرض	الرفض وعدم القبول	وقد غرقوا فيها فكل على أمواجها طاف
القصور المشيدة والفاخرة والملابس المزخرفة والجلوس فوق رؤوس الرعايا ما هي إلا مرحلة والموت هو من يحدد نهاية كل خليفة.	الخلافة	إلا لنقل سلطان أن ملك قد انقضى ملكه إلى ملك

شعرية الطباق:

يندرج الطباق ضمن البديع وهو فن من فنون الإبداع الذي يقوم عليه

النص الشعري ويتمثل في الجمع بين ضدتين في الكلام والمطابقة والكلام أن

يأتلف في معناه ما يصادف في فحواه،¹ وينقسم إلى قسمين ضاق إيجاب الخالي من أداة النفي و طباق سلب، "وتظهر قوة التضاد المعنوية إذا توفر فيها التضاد بالتجانس فتصير بهذا الاستعمال اللغوي أمام لونين يدعيان الجنس والتضاد، فيتضام الإيقاع اللفظي للجناس مع الإبقاء المعنوي للتضاد راسماً قيماً دلالية داخل النص".²

وأفضل كلام البشر في الطباق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليأخذ العبرة من نفسه لنفسه، ومن دنياه الأخيرة، ومن الشبهة قبل الكبر،
ومن الحياة قبل الممات فو الذي نفسي محمد بيده ما بعد الموت مستغيب
وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار وقول الله تعالى " وما يستوي الأعمى
والبصير ولا الظلمات والنور والظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا
الأموات".

وهذا الفن الإبداعي نال حظه في شعر أبي العتاهية يعد مداد أسلوبيا
يكشف عن حقل دلالي واسع متضاد فيما بينه واخترنا من ديوانه مايلي:

طباق إيجاب:

¹ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ج2، ص05

² لحضر حاكمي من رسالة دكتوراه ديوان ترجمان الأشواق لبن العربي، مقارنة أسلوبية جامعة وهران، ص327

هذا النوع من الطباق يجمع بين لفظتين متناقضتين بحيث يحرص

الشاعر في حقل دلالي معين لتحقيق البعد المعنوي.

التضاد اللغوي في زهديات أبي العتاهية..

الجمع بين الضيقة والسعة وبين الشدة والرخاء

كل ينقل في ضيق وسعة وللزمان به شدة ورخاء.

الجمع بين الحلاوة والمرارة والراحة والعناء.

حلاوتها ممزوجة بمرارة وراحتها ممزوجة بعناد.

الجمع بين الاختلاف والسواء:

وما الدهر يوما واحدا في اختلافه وما كل أيام الفتي بسواء

الجمع بين الكدر والصفاء.

وشتت ريب الدهر كل جماعة وكر ريب الدهر كل صفاء

الجمع بين العبد والمولى

ولقد مررت على القبور فما ميزات بين العبد والمولى.

الجمع بين المساواة والمحاسن وبين النعي والبشرى.

تقفو مساويها محاسنها لا شيء بين النعي والنشرى.

الجمع بين المشيب والصبا.

إما المشيب فقد كساه رداءة وابتز على كتفك إردية الصبا.

الجمع بين القنوع والطمع

إن الغنى هو القنوع بغية ما أبعد الطمع الحريص من الغنى

الجمع بين الهلاك والنجاة:

لقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت من نجى

الجمع بين الليل والنهار

ساعات ليلك والنهار كلاهما يجل إليك وهن يسرعن الخطا

الجمع بين الظلال والهدى

وهو الذي نجى وأنقذ شعبه بعد الظلال من الظلال إلى الهدى

الجمع بين المحيا والممات

أنساك حياط الممات فطلبت في الدنيا الشباب

الصغر والشيخوخة.

الموت لا والدا يبقى ولا ولد ولا صغير ولا شيخا ولا أحدا

الجمع بين التقدم والتأخير

أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر

الجمع بين اليسر والعسر

ففي لم يخل الندى ساعة على سيرة كان أو عسره.

الجمع بين الكلام والصمت

يخوض أناس في الكلام ليوجزوا وللصمت في بعض الأحيان أوجد

الجمع بين الارتفاع والانخفاض.

والحادثات بها الأقدار جارية والمرء مرتفع فيها ومنخفض.

الجمع بين الإفساد والإصلاح.

وجناب الإفساد مروي وجناب الإصلاح حلو مريع.

الجمع بين الصمت والبكاء

ولربما ضحك الكذوب تكلفا وبكى من الشيء الذي لم ييكه

الجمع بين الخسارة والمريح

الحمد لله الحمد بمنه خسرت ولم تربح يد الأبطال.

الجمع بين الحسن والقبيح

ما أزين الجود من حليف ما أشين البخل من بخيل.

جمع أبو العتاهية مزيجاً من الأضداد الثنائية وهي:

الكلمة	ضدها
الأحباء	الأعداء
ضيق	سعة
الهلاك	النجاة
الجود	البخل
الإفساد	الإصلاح
الضحك	البكاء
الحسن.	القبيح
الباطن	الظاهر
الشيخوخة	الصبا
الخسارة	الربح
النعي	البشرى
العبد	المولى
المساوئ	المحاسن
كدر	صفاء

وهذه الثنائيات الضدية التي تختلف في حقلها المعجمي ولكنها تنصب في حقل دلالي واحد، وهي (الضيق، شدة، مرارة، عناء، كدر العسر، الانخفاض، صفاء، السير، الارتقاء، الاصلاح) فالمجموعة الأولى تدل على تقلب أحوال الناس فلا شيء ثابت ودائم سواء كان ماديا ظاهرا أو نفسيا خفيا كما وظف الشاعر ألفاظا تحمل في طياتها نفس المعنى البعيد وإن كانت في معناها القريب لا تشارك مع بعضها البعض وهي (النعي الهلاك الليل، الظلال الممات البكاء البشري، النجاة، النهار، الهدى، المحيا الضحك، الحلم) فالمصطلحات في القسم الأول كلها تدل على الحزن والاكتئاب والشجن على عكس القسم الثاني فهي مصطلحات تبعث الأمل في الحياة وهي أكثر الحالات يحب الإنسان أن يعيشها " ومرد ذلك أن علاقة التعاكس في الفن ليست علاقة إقصاء وإنما هي على العكس من ذلك منتجة لانعكاسات دلالية من نوع خاص يحس الناس بها بشدة¹.

البنية التركيبية:

يعتبر الأسلوب الركيزة الأولى لبنية النص وهذه الكلمة الأسلوب عنيت من قبل الدارسين وحاولوا إيجاد مفهوم واضح للمدلول هذه الكلمة

¹ ينظر لخضر حاكمي ص 232 عن آن إينو، مرهونات دراسة الدلالة اللغوية نقلا عن رابح بوحش، قراءة أسلوبية لظاهرة الوفاء عند الأعراب نص الأصمعي نموذجا، مجلة تحليلات الحدائق بصدرها معهد اللغة العربية وآدابها جامعة وهران 1996

بمقارنة ما جاء في القرآن الكريم وما نطقت به العرب ويقول ابن قتيبة " وإنما يعرف " فضل القرآن " من كثر نظره و اتسع علمه وفهم مذاهب العرب واقتنائها في الأساليب، وما خص به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمه أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب¹.

ويتنوع الأسلوب بحسب اختيارات الفرد وانتقائه ما يناسب خطابه سواء كان شعرا أو نثرا، مراعيًا في ذلك المتلقي باختلاف المواقف وطبيعة الموضوع إلى ملكة المتكلم ومكتسباته الفنية " فكلما تعددت الموضوعات التي يطرقها الأديب، تعددت الأساليب وتشكلت بطبيعة هذا الموضوع، وعليه تعقد المقارنة بين الشعراء في المجال الواحد الذي يخوضون فيه، ماذا افترق مدخلهم إلى موضوعات متعددة.... ولكل أسلوبه المتميز في مجال معين أو غرض خاص به، فنقول فلان أشعر من في الوصف، وفلان في هجاء، وهكذا.....².

الانزياح التركيبي:

ترادف كلمة العدول الانزياح وهو الخروج عن قواعد اللغة المعتادة التي صنفها النحويون القدماء وهي تقنية أسلوبية يركز عليها المبدع

¹ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره أحمد صقر، المكتبة العلمية بيروت، ط3، 1981، ص12

² ينظر محمد برونة، دراسة أسلوبية في شعر ذي الرمة، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، ص210

لإبراز النص، وإثرائه بشفرات دلالية تكتشف من قراءة بنية النص للوصول إلى ما يهدف إليه المبدع، وشعر أبو العتاهية اصطبح بسمة أسلوبية كقوله:

متبرما مني إذا نضد الثرى فوقى طوى كشحا على هجراني¹

إن القراءة الدقيقة للنص تكشف عن انحرافات تركيبية وظفها الشاعر قصد إظهار ما أراده حيث نجد حذف الفعل، والفاعل والمفعول به بتقدير (ترانا) وجاءت متبرما حال والحال دائما يأتي لإظهار حالة صاحبه، وجعله الشاعر في أول البيت لوضع القارئ مباشرة إلى حال الميت أثناء وضعه في قبره والثرى يفرشه ويغطيه.

كما نجد له انحراف تركيبى متمثل في التقديم والتأخير في قوله:

إياك أعني يا بن آدم فاستمع ودع الركون إلى الحياة فتنفع

حيث قام الشاعر بتقديم المفعول به المتمثل في ضمير (إياك)، عن الفعل والفاعل معاً، لفعل محذوف تقديره احذر. لأن الشاعر يوجه خطاباً مباشراً للإنسان، وهذا النوع من التقديم والتأخير يساهم في إثراء النص وتحديد معانيه ولا يأتي اعتباطاً وإنما تنبع من شاعر كفى يفهم آلية هذه الانحرافات

¹الديوان ص 221

ووظيفتها في الجملة، إذ يقول الجرجاني في التقديم والتأخير (لا يكفي أن يقال قدم للعناية والاهتمام من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟. لما كان أهم؟¹

ويقول في نفس القصيدة إذ نجده يفصل بين إسم إن وخبرها، ويقول

والمرء يوطنها ويعلم أنه عنها إلى وطن سواها منقلع

فاسم إن هو الضمير (الهاء) التي تعود على المرء فقابلها الشاعر بشبه الجملة في الشطر الثاني (عنها إلى وطني) ثم يأتي اسم الفاعل منقلع خبرا وجاء ساكن للضرورة الشعرية

كما نجد له إنزياحات تتمثل في الفصل بين الفعل وفاعله في قوله.

وإن بطون المكثرات كأنما تنقنق في أجوافهن الضفادع²

إذ فصل بين الفعل (تنقنق) والفاعل (الضفادع) بشبه جملة والمتمثلة (في أجوافهن) وهذه تجربة شعورية تعكس إنقلاب حال المرء من شبعان إلى جائع ومن مرتوي إلى عطشان

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمد محمود شاكر، دار المدني جدى، ط3، 1992، ص108.

² الديوان ص129

إن تزود النص بالعدول والإنزياح التركيبي تتناسب وتتوافق مع نفسية الشاعر، وبالتالي تنعكس على نظمه.

الأسلوب:

يهدف كل مبدع إلى كسر الملل والضجر في نصه وذلك بتوظيف الأدوات توظيف متنوعا يغني التجربة الشعرية، التي تحدث اتساقا وانسجاما في ترابط الألفاظ مع بعضها البعض. وتعدد طرق التعبير تستدعي بالإضافة إلى علم البيان والبلاغة نقل لعلم المعاني من أسلوب لآخر، ومن بينها الأساليب الخبرية والإنشائية ومنها:

الاستثناء:

وهو "إخراج الاسم الواقع بين إحدى أدوات الاستثناء من حكم ما قبلها إثباتا أو نفيا"¹. وعناصر الاستثناء هو المستثنى والمستثنى منه وأداة الاستثناء لقول أبي العتاهية من البسيط

لم تقتحم بي دواعي النفس معصية إلا وبيني وبين النور ظلماء

المستثنى منه (دواعي النفس) أداة الاستثناء (إلا) المستثنى (ظلماء)

وجاء التركيب أصلي دون تقديم أو تأخير في العناصر.

¹ أحمد سالم العوج الممتع في النحو والصرف، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، ص433

وقال من المتقارب

ولا شيء إلا لذه وكل تليد سريع البلي

ولا شيء إلا له آفة ولا شيء إلا له منتهى.

وفي هذين البيتين لا ينحرف عن الترتيب المعنوي واللغوي للكلام.

وقال في الكامل

ما زخرف الدنيا وزبرج أهلها إلا غرور كله حطام

فزخارف الدنيا كثيرة وعديدة ولكن استثنى منها الغرور ولو أن في هذا

البيت يتجلى الحصر أكثر من الاستثناء.

أسلوب النفي:

قد أكثر أبو العتاهية من أسلوب النفي في شعره، وهو بذلك ينحرف

إلى لغة شعرية دون سواها في النثر ويقول من البسيط

الحمد لله يقضي ما يشاء ولا يقضي عليه للخلق ما شاء

و في اللغة العربية - واسم لا محذوف هنا وتقديره هو التي تعود على الله عز وجل، والحذف يعتبر خطأ غير مقبول لأن الحذف يكون لخبر "لا" النافية للجنس وليس لاسمها إذ لا يفصل عنها اسمها ولا يحذف¹. والجمع بين أداة النفي ما هو إلا تأكيد على النفي كما جاء عنه في المنسرح.

ما كل ذي حاجة بمدركه كما من بد لا تنال ما طلب²
جاءت ما وخبرها لا نكر فلا تعمل في المعرفة..
وقد خالف هذه القاعدة ما قاله في المنسرح

(ما) المرء إلا غدا بدا الحسن الظاهر منه وطيب طعمته
(ما) المرء إلا بحسن مذهبه سرا وجهرا وعدل قسمته.
حيث لازمت (ما) كلمة المرء جاءت معرفة بالألف واللام.

الاستفهام:

يعرف الاستفهام في البنى الأسلوبية أنه طلب بشيء لم يكن معلوما من قبل، ونجد أن أبو العتاهية أكثر منه في شعره الزهدي كقوله من الطويل:

أجمع مالا لا تقدم بعضه لنفسك ذخرا إن ذا لسقوط
أتوصي لمن بعد الممات جهالة وتتركه حيا وأنت بسيط¹

¹ عن هشام مغني الليث عن كتب الأعراب، ص157، المكتبة الالكترونية

www.oil.mostafa.com

² ينظر محمد برونه، دراسة أسلوبية في شعر ذي الرمة ص225 نقلا عن محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل ص336

يعمد الشاعر إلى إطلاق مجموعة من الأسئلة في نصوصه لتزويدها بالطاقة الإيجابية، فهو لا يبحث عن إجابات لها، وإنما يصب تفكيره في التأمل إلى حقيقة واحدة وهي الموت. التي ستكسح الجميع دون استثناء، والملاحظ في هذين البيتين أن الشاعر قرن الأفعال في زمن المضارع، الذي يفيد المستقبل (أجتمع، تقدم، أتوصي، تتركه، لأن، الموت، مقيدا، بزمن المستقبل، على المرء الحي)

الشرط:

ترتكز موضوعات الشاعر على الوعظ والنصح والإرشاد، وبذلك تدخل بنية الشرط ف نصوصه وهذا النسق، يعطي مجالا واسعا في التعبير إذ يذكر فعل الشرط وجوابه وسبب الجواب وهذه دلالة أخرى على قدرة الشاعر في نسج المكونات اللغوية، ومنها ما قال:

وإذا كبرت فهل لنفسك لذة ما للكبير بلذة متمتع
وإذا قنعت فأنت أغنى من غني إن الفقير لكل من لا يقنع
وإذا طلبت فلا إلى متضايق من ضاق عنك فرزق ربك أوسع²

جاءت أزمنة الفعل في الماضي، حين اقترنت بأدوات الشرط في البيت الأول في صدره كان الفعل في زمن الماضي، والبيت الثاني جاء الفعل في زمن

¹ الديوان ص123.

² الديوان 126

الماضي وقرن جوابه بالفاء مع أسم التفضيل، أما البيت الثالث في صدره جاء الفعل في الماضي واقترن جوابه بالفاء مع شبه الجملة أما في عجزه جاء الفعل (ضاق) مقترن بمن وجوابه جاء بالفاء مقترن باسم تفضيل. وهذا الكم من الأدوات الموجودة بكثرة في ديوان الزهد لأبي العتاهية فتح له المجال لتبليغ أفكاره ونصائحه للمتلقي.

النداء:

ورد أسلوب النداء في شعر أبي العتاهية بشكل مباشر وصريح إلى عامة الناس فشعره كان موعظة ونصحا وإرشادا والنداء دعوة للمخاطب للانتباه إلى ما يقوله المتكلم وذلك بواسطة أحرف تسمى بأحرف النداء¹.

قال في الكامل المجزوء

يا شامتا يمين إن المنية لم تفت

يا من رأى أبويه فيمن قد رأى كان خصانا

وفي السريع قال:

يا عجبا مني وما اخترت من شك على ما قد شقت

يا رب أمر دل عني إذا ما قلت إني قد تمكنت.

¹ أحمد سالم الغوج، المتع في النحو والصرف، ط1، دار النسخ للدراسات والنشر، 2010، ص353

وفي البسيط

يا من يموت فلم يحزن لميته ومن يموت فما أولاه بالحزن
يا صاحب الروح ذي الأنفاس في البدن بينت النهار وبين الليل مرتحن.

وهذا النوع من الأسلوب وظفه الشاعر بغرض النداء ولفت انتباه القارئ
لأشياء معينة قد يكون غافلا عنها.

إن الانزياحات الأسلوبية في النص الزهدي بوصفها منبهاً أسلوبياً متمثل في
الاستعارة والتشبيه والكناية، ففي الخطاب الشعري لا يكتفي الشاعر بنظمه بل
يتجاوز ذلك بإضافة لمسة فنية التي يرتقي بها عن الشعراء الآخرين وتجعله متميزاً
ومتمكناً، لأن اهتمامه ينصب على القارئ ويحمله ويفرض عليه قراءة النص وفهم
غايته ما يوازي إنتاج نص المبدع، بفك شفرات النص لكشف الحجب المستترة.

سلطان الفصل الثالث

سلطان موسيقى الشعر في زهديات

أبي العتاهية

يقوم الإبداع الشعري على كشف مكنونية النفس ورقة الشعور ورهف الإحساس وتحتل الموسيقى الشعرية مكانة خاصة في الخطاب الأدبي ولا سيما في الشعر المتمثلة في الوزن والقافية وهي إيقاع ثابت، والمتغير هو الواقع في حشو البيت. و أولى الخليل أهمية كبرى لدراسة الإيقاع الموسيقي وجعل له علما سماه بعلم العروض وأوجد خمسة عشرة وزنا سمي كل منها بحرا وهذا الأخير يعتبر الحاكم الفاصل في صحة الوزن مهما تشابحت الأوزان وبين الصواب والخطأ. أما بالنسبة للبحر السادس عشر فأوجده تلميذه الأخفش و سماه المتدارك.

وأبو العتاهية في خطابه الزهدي نظم شعره على أربعة عشرة بحرا واحتل منها الكامل والطويل والبسيط مساحة كبيرة لطول وزنها، أما البحور المتبقية فقد تراوحت بنسب مختلفة في الديوان وسنعرضها بالتفصيل لاحقا.

فالنظم على البحور الطويلة تفسح المجال للشاعر للتعبير عن انفعالاته و إظهار آلامه و أحزانه أي كل ما يختلج نفسية الشاعر ومن بين هذه البحور ما يلي:

البحر الكامل ::

يعتبر هذا البحر من الأوزان الطويلة "لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر"¹ وعده البستاني " أتم الأبحر السباعية وقد أحسنوا تسميته كاملا لأنه يصلح

¹ غازي يموت، بحور الشعر العربي، عروض الخليل، دار الفكر لبنان، ط2 ، 1996 نقلا عن العمدة 136/1

لكل أنواع الشعر ولهذا كان كثير في كلام المتقدمين والمتأخرين "2.. وكانت له نبرة تهيج العاطفة.

وقد ورد في شعر أبي العتاهية تاما ومجزؤا ستين قصيدة وسبعة وأربعين "47" مقطوعة تراوح عدد الأبيات بينهما حوالي ثمانية وسبعين و تسع مائة "978 بيت" نظم عشرين قصيدة في مجزوء الكامل، وأربعين قصيدة في البحر الكامل، وسبعة عشر (17) مقطوعة في مجزوء الكامل، وسبعة وثلاثون مقطوعة من الكامل وهذا البحر في الاستعمال الشعري يترجم مستوى مرتفعا مما يجعلنا نستنتج أن أبا العتاهية قد نهج سابقه من شعراء العرب القدماء .

و قال في الكامل :

لا عيش إلا الموت يقطعه لا شيء دون الموت يصنعه³

أما من مجزوء الكامل فقال :

أفريت عمرك باعتزازك و مناك في انتظارك

و نسيت منا لا بد منه و كان أولى بأذكارك⁴

وما يلحظه المتلقي طول النفس في هذه الأبيات فالحديث عن الموت يحدث رهبة في النفس وتوقف الإنسان مكانة ليحاسب نفسه ويهيئها إلى الحساب الأكبر لأن غرض أبي العتاهية هو وعظ الناس وتوعيتهم قبل أن يفوت الأوان .

² المرجع السابق نقلا عن حلومي صفاء في التقطيع الشعري و القافية ص 95 .

³ من الديوان ص 139.

⁴ من الديوان 1 ص 108-109

البحر الطويل :

يأتي البحر الطويل في المرتبة الثانية بعد الكامل ورد في شعر أبي العتاهية -الزهد- ثلاثة وأربعون قصيدة وستة وخمسون (561) مقطوعة ما يعادل تسعة وثمانون وستمئة (689) بيت شعري وهذا البحر الأكثر شيوعا في الخطاب الشعري حيث " نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي، هذا الوزن كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزانا لأشعارهم " ¹ والطويل أكثر إستعابة للمعاني ويتسع لمختلف الأغراض لا سيما الشعر القصصي والفخر والحماسة، ويشمل على تفعيلتين متكررتين من البحور الخليلية وهي : فعولن ، مفاعيلن .

وجيء نظام البحور حسب ضروبه وأعاريضه على ثلاثة أنواع :

أ- العروض مقبوضة والضرب الصحيح ، قال أبي العتاهية :

إِلَى كَمْ إِذَا مَا غَبْتُ تُرْجَى سَلَامَتِي	وَ قَدْ قَعَدْتُ فِي الْحَادِثَاتِ وَ قَامَتْ ²
0//0// 0/0// 0/0/0// 0/0//	0/0// /0// 0/0/0// /0//
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن	فعول مفاعيلن فعول مفاعل

ب- كما نجد العرض غير مقبوضة مع أن الطويل العرض فيه دائما مقبوض

أي مفاعيلن تصبح مفاعيلن ، وخرج أبي العتاهية عن المؤلف وقال:

¹ غازي يموت نقلا عن أنيس ابراهيم ، موسيقى الشعر ص191

² نفس المصدر ص 41

أَحْتُ مُقِيمَاتِنِ عَلَيْنَا لِحَاتٌ	لَيَالٍ وَ أَيَّامٍ لَنَا مُسْتَحَقَاتٌ ¹
0/0// 0/0// 0/0// 0/0//	0/0// 0/0// 0/0// 0/0//
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن	فعولن مفاعيل فعولن مفاعيلن

وهذا ما يدل على الإبداع الشعري وخرق قوانين العروض، حيث يستعرض الشاعر

هنا قدراته فجاز له ذلك فهذا لا يعتبر عيباً من عيوب الشعر .

ج- وقال من الطويل حيث العروض مقبوضة والضرب محذوف :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَيْكَ حَصَارٌ	فَيَا لَكَ فِيهَا ذِلَّةٌ وَ صِغَارٌ ²
0/0// 0/0// 0/0// 0/0//	0/0// 0/0// 0/0// 0/0//
فعولن مفاعيلن فعول مفاعل	فعول مفاعيلن فعول مفاعي

البحر البسيط :

جاء البحر الوسيط في المرتبة الثالثة بعد الكامل والطويل في ديوان أبي

العتاهية، حيث نظم منه عشرين قصيدة متوسطة الطول وخمسة وعشرين بين مقطع

ونتفة أي ما عادل خمسون إلى ثلاث مائة (350) بيت شعري يسمى بالبسيط "

لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء في وسطه فَعِلْنِ وَ آخِرُهُ فَعِلْنِ³.

¹ المصدر السابق ص 39.

² المصدر نفسه ص 81.

³ ابن رشيق العمدة 1 \ 136.

نتفة: يطلق على البيتين من الشعر لأن المقطوعة هي من 01-06 أبيات، ينظر صابر عبد الدايم، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3 1993 ص 57 .

أما من ناحية إستيعاب المعاني فيراه البستاني أنه يقرب من الطويل ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ولا التصرف بالتراكيب والألفاظ ومع ذلك فالبهر البسيط يفوقه من حيث الرقة و الجزلة¹.

والبسيط من أكثر البحور لياقة وقدرة على الإنشاء وخاصة في المواضيع الدينية، وتراوح طول القصائد منه في شعر العتاهية ما بين 10-24 بيت ويأتي وزن البسيط على الشكل التالي:

مستفعِلن فاعِلن مستفعِلن فاعِلن مستفعِلن فاعِلن مستفعِلن فاعِلن.

و قال أبي العتاهية منه :

لَأُبْكِيَنَّ عَلَى نَفْسِي وَ حَقَّ لِيْهِ	يَا عَيْنُ لَا تَبْخَلِي عَنِّي بِعِزَّتِيَّ ²
0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/	0/// 0//0/0/ 0/// 0//0//
مستفعِلن فعِلن مستفعِلن فعِلن	مستفعِلن فعِلن مستفعِلن فعِلن

نلاحظ أن الحشو (مستفعِلن) أصابها الخبن فأصبحت متفعِلن .

وقال أيضا :

الْحَيْرُ وَ الشَّرُّ عَادَاتٌ وَ أَهْوَاءُ	وَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَحْبَابِ أَعْدَاءُ ³
0/0/ 0//0/0/ 0/// 0//0//	0/0/ 0//0/0/ 0/// 0//0/0/
مستفعِلن فعِلن مستفعِلن فاعِل	متفعِلن فعِلن مستفعِلن فاعِل

¹ بنظر غازي يموت نقلا عن البستاني سليمان / الياذة هوميروس 91/1.

² نفس المصدر ص256.

³ نفس المصدر 05.

البحر الوافر :

نظم منه أبي العتاهية واحد وعشرون (21) قصيدة واثنى وعشرون (22) بين مقطوعة ومنتفة أي ما يقارب خمسة إلى ثلاث مئة (305) بيت شعري أما من مجزوء الوافر فقد نظم منه ثلاث قصائد ومقطوعة واحدة .

ويسمى الوافر " لوفور أجزاءه وتد بوتد" ومن خصائصه الموسيقية الطواعية على النظم في الفخر الرثاء وربما أبي العتاهية وجد ملاذه لتعبير عن حصرة كل من تمسك بالدنيا ونسي الآخرة ويرى القرطنجي : "أن الشاعر القوي المبين إذا صنع شعرا على الوافر اعتدل كلامه"¹

و يأتي وزن الوافر :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن (مفاعل)

و قال أبي العتاهية من الوافر :

تصرفهن حالا بعد حال ²	- تعى - نفسي إلى مرّ الليالي
و مالي لا أخاف الموت مالي	فما لي لست مشغولا بنفسي
و لكني أراني لا أبالي	لقد أيقنت أني غير باق
تفانوا ربّما خطروا ببالي	و مالي عبرة في ذكر قوم

¹ حازم القرطنجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن خوجه، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ط2 1981 ص 268

² من الديوان ص 175.

-تعى - في رواية أخرى نعى

أما في مجزوء الوافر قال :

رَأَيْنَا الْمَوْتَ لَا يُبْقِي	عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَذَرُ
0/0/0// 0/0/0//	0///0// 0///0//
مفاعلتن مفاعلتن	مفاعلتن مفاعلتن

البحر الخفيف :

جاء الخفيف في المرتبة الخامسة في الشعر الزهدي لأبي العتاهية ويسمى بالخفيف (أخف البحور على الطبع وإطلاها على السمع بسببه وهو منفرد في جميع العروض وهو يصح للتصرف بجميع المعاني "، و نظم عليه أبي العتاهية ثلاثة عشرة "13" قصيدة وثلاثة وعشرون مقطوعة ما يعادل أربعة عشرة للمئتين "214" بيت ووظف منه التام فقط، ويأتي وزن الخفيف على النحو التالي :

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وقال أبي العتاهية منه :

نَغَصَ الْمَوْتُ كُلَّ لَذَّةٍ عَيْشٍ	يَا لَقَوْمِي لِلْمَوْتِ مَا أَوْحَاهُ ¹
0/0/0// 0//0// 0/0//0/	0/0/0/ 0//0/0/ 0/0//0/
فاعلاتن متفع لن فاعلاتن	فاعلاتن مستفع لن فالاتن

و قال أيضا :

اهرب بنفسك من دنيا مضللة قد أهلكك قبلك الأحياء و المملا

¹ المصدر نفسه ص14 .

مرّ مذاقه عقباها و أولها غدارة تكثر - الأحزان - و العللا

إن ذقت حلواها عادت لي عواقبها مرارة يحتويها كل من أكلا

لم يصف الشرب امرئ فيها فأعجبه إلا تكدر أو أحسن له و شلا

فموضوع هذه القصيدة عن تقلب حال الدنيا من حلاوة إلى مرارة و إذا أسعدت قليلا فإنها تحزن كثيرا و إن أعزت يوما أذلت دهرا، و ربما فإن بحر الخفيف الأنسب لمثل هذه القصائد حيث كان يهدف أبي العتاهية إلى إيقاظ الناس عن غفلتهم.

البحر المنسرح :

"والمنسرح لاستراحته وسهولته على اللسان إذ لا مانع من مجيء مستفعلن ذات الوجد المجموع سالمة في الضرب إلا المنسرح وهو من البحور الأكثر إستعمالا في العصر العباسي وكثرت قصائده لشعراء العباسيين و تنوع وزنه بعض التنوع"¹.

ونلفي أبي العتاهية من المنظمين لهذا البحر وإن كانت نسبته متوسطة مقارنة بالبحور المذكورة سلفا وجاء في 15 قصيدة متوسطة الطول تتراوح من ثمانية عشر إلى أربعة وعشرون بيتا بالإضافة إلى خمسة عشرة مقطوعة معظمها لا يتجاوز الأربع أبيات، ومجموع أبيات هذا البحر من الديوان حوالي سبعون للمئتين (270) بيت، ويأتي هذا الوزن على الشكل الآتي :

مستفعلن مفعولات مستفع
مستفعلن مفعولات مستفعلن

¹ ينظر غازي يموت ، بحور انظر العربي عروض الخليل ، دار الفكر العربي لبنان ط2 1996 ص152 .

و قال منه أبي العتاهية :

الحمد لله الواحد الصمد فهو الذي به رجائي و سندي¹
عليه أرزاقنا فليس مع الله بنا حاجة إلى أحد

و قال أيضا :

لا والد خالد و لا ولد كل جليلد يخونه الجلد
كأن أهل القبور ما سكنوا الدور و لم يحيا منه أحد

بحر الرمل :

كثر استعمال هذا البحر في الموشحات ونلفيه بنسبة ضئيلة في الخطاب
الزهدي لأبي العتاهية، ربما يعود السبب لعدم صلاحه للنصح والإرشاد وليس في
وجهة الوعظ بقدر ما يصلح أن ينظم للأحزان والأفراح والحماسة ونظم منه الشاعر
خمس قصائد وتسعة عشرة بين مقطوعة ونتفة ومجموع الأبيات هي تسعة وستون
للمئة (169) بيت، وربما أنشئ على هذا الوزن رغبة في التغيير وإبعاد الملل عن
المتلقي من جهة ومن جهة أخرى أراد أن يبقى منصبا في غرض الوعظ والإرشاد .

ووزن الرمل يأتي على النحو الآتي :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

و قال منه أبي العتاهية :

¹ من ديوان أبي العتاهية ص 75-76.

-الأحزان- في رواية أخرى الأحزاب .

كُلُّ نَفْسٍ سَتُؤَافِي سَعِيَهَا	و لَهَا مِيقَاتُ يَوْمٍ قَدْ وَجَدَ
0//0/ 0/0/// 0/0//0/	0//0/ 0/0/// 0/0//0/
فاعلاتن فعلاتن فاعلا	فاعلاتن فاعلاتن فاعلا

السريع :

ورد في تسع قصائد لا تتجاوز وزن 12 بيت وإحدى عشرة مقطوعة (11) ومجموع أبيات هذا البحر حوالي 152 بيت وسمي بالسريع لسرعة النطق به وعرفه البستاني: "السريع بحر يتدفق سلالة وعدوبة يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف، وهو قليل جدا في الشعر الجاهلي"¹.

و قال أبي العتاهية منه :

آمنت بالله و أيقنت و الله حسبي حيثما كنت

البحر المتقارب :

يأتي هذا البحر مجزؤا و تاما، وهو متقارب لتقارب أوتاده وأسبابه، وأسبابه من أوتاده ويعرف هذا البحر بنغمة فيه رنة وهو أكثر البحور ملائمة للعنف أكثر من الرفق وأورده أبي العتاهية بتسع قصائد وأربع مقاطع بمجموع اثنين وخمسون للمئة (152) بيت شعري.

¹ بنظر غازي يموت ص 144.

البحر المديد :

من بين البحور التي لم يوليها اهتماما كبيرا للنظم عليها المديد والمجتث والرجز، نظم في المديد ثلاث قصائد وتسعة عشرة (19) مقطوعة ما يعادل واحد وسبعون (71) بيت.

البحر المجتث:

نظم عليه أبي العتاهية قصيدتين و ثلاث مقاطع بمجموع 16 بيت .

البحر الرجز :

قصيدة واحدة ومقطوعتين بمجموع 16 بيت .

ومن خلال دراستنا لديوان أبي العتاهية نلاحظ كثرة النظم على البحور الطويلة على غرار البحور ذات الأوزان القصيرة، فالشاعر يختار البحور التي تلائم صوته قوة وضعفا وتلائم سنه من حيث الصغر والكبر، وأبي العتاهية كانت له رسالة سامية أراد نشرها فاختار البحور الطويلة التي تناسب مواضيع قصائده المتمثلة في الدعوة لترك الدنيا وحلاوتها وعدم الإئتمان لها، قصد التذكير بالمولد الذي يأتي ويفرق بين الجماعة وذكر عواقبه بالإضافة إلى ذم حياة الملوك، الحكم والأمثال، الوعظ والنصح. وعليه فإن ترتيب البحور التي نظم عليها أبي العتاهية خطابه الزهدي جاء كالتالي: البحر الكامل، الطويل، الوافر، البسيط، الخفيف، المنسرح، المثقارب، السريع، الرمل، المديد، الهزج، المجتث، الرجز .

و رصدنا نسب جموع البحور الشعرية على النحو التالي :

البحور الشعرية	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة المئوية بالنسبة لعدد القصائد 223	النسبة المئوية بالنسبة لعدد الأبيات 4414
الكامل	60	978	%26.96	%22.15
الطويل	43	689	%19.28	%15.60
الوافر	21	305	%9.41	%6.90
البسيط	20	350	%8.96	%7.92
الخفيف	13	214	%5.82	%4.84
المنسرح	15	270	%6.72	%6.11
المتقارب	09	152	%4.03	%3.44
السريع	09	147	%4.03	%3.33
الرمل	05	169	%2.24	%3.82
المديد	03	71	%1.34	%1.60
الهزج	02	27	%0.89	%0.61
المجث	02	20	%0.89	%0.45
الرجز	01	16	%0.44	%0.36

من خلال الجدول نجد تقارب بين البحر الطويل والكامل واعتماد الشاعر عليها في

نظمه أما بالنسبة للمديد والسريع والرمل والهزج والمجث نلفي توافقاً ترتيبياً بينهم لأن

الشاعر قد نحا طريق سابقه من الشعراء. وفيما يلي إحصاء لعدد أبيات كل بحر

بالنسبة للعدد الإجمالي لأبيات الديوان :

البيوت الشعرية	عدد الأبيات	النسبة المئوية
الكامل	978 بيت	22.15%
الطويل	689 بيت	15.60%
البسيط	350 بيت	7.92%
الوافر	305 بيت	6.90%
المنسرح	270 بيت	6.11%
الخفيف	214 بيت	4.84%
الرمل	169 بيت	3.82%
المتقارب	152 بيت	3.44%
السريع	147 بيت	3.33%
المديد	71 بيت	1.60%
الهنج	27 بيت	0.61%
الرجز	16 بيت	0.36%

و وفقا لهذه العملية الإحصائية لترتيب البحور من حيث القصائد و الأبيات حسب

النسبة المئوية نتوصل إلى ما يلي :

الكامل أكثر البحور توظيفا سواء بالنسبة لعدد القصائد أو الأبيات يليه الطويل في المرتبة الثانية قصائد وأبياتا بعدها يأتي بحر البسيط في المرتبة الثالثة من حيث القصائد والرابعة من حيث الأبيات، أما الوافر فكان في المرتبة الرابعة من حيث عدد القصائد والخامسة في عدد الأبيات، أما المنسرح فجاء في المرتبة الخامسة من حيث عدد الأبيات والسادسة في ترتيب القصائد .

والأسلوبية الإحصائية تكشف عن معالم النصوص الثابتة والكمال الإبداعي الموجود في النتاج الدلالي للألفاظ ، وهذا ما جاء واضحا في الشعر الزهدي لأبي العتاهية

وإصراره على بعث القيم الدينية للمجتمع من خلال قصائد تحمل في طياتها وعظا ونصحا وإرشادا وفي الآن نفسه رهبة ومخافة من مقابل الدنيا ومهابة من عالم الموت.

القافية :

القافية هي تلك الأصوات التي تتكرر في نهاية الأبيات في قصيدة من القصائد وسميت القافية لكونها في، آخر البيت من قولك قفوت فلان إذ اتبعته ويراهنا إبراهيم أنيس أنها أصوات تتكرر في أواخر أشطر القصيدة وتكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية¹.

إن القوافي تسع، ثلاث مقيدة وست مطلقة، فالمقيد ما كان غير موصول والمطلق ما كان موصولا ثم المقيد على ثلاثة: اضرب، مطلق مجرد، ومطلق بخروج، ومطلق بردف، والمطلق بردف وخروج، ومطلق بتأسيس، ومطلق بتأسيس وخروج. وإن كان الوزن الإطار العام التي تشكل منه القصيدة فالقافية تمثل نوعا من الختام لأبيات القصيدة وهذه الأصوات المتكررة هي السبب في إحداث النغم في الأبيات وعن الإيقاع الموحد .

والدارس لديوان أبي العتاهية يجد في حرف الروي معظم الأحرف الأبجدية إن لم نقل كلها وينسب متفاوتة وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى الخلجات الفكرية للشاعر واختياره الرنة المناسبة لأحواله النفسية.

¹ ينظر حسن عبد الجليل يوسف ، موسيقى الشعر العربي ج1 ص 139.

ومن خلال الدراسة الإحصائية نجد حرف اللام في المرتبة الأولى بعده النون و الراء. ثم تأتي بقية الأحرف وسوف نوضح ترتيبها من خلال الجدول التالي، و هي الأحرف الموجودة في القصائد دون المقاطع أو التنفة :

حرف الروي	عدد القصائد المستعمل فيها
اللام	30
النون	28
الراء	27
التاء	23
العين	20
الباء	18
الذال	17
الميم و الألف	10 على حد سواء
الكاف	8
القاف	6
الهاء - الفاء - السين	5
الياء	4
الحاء	3
الضياء - الطاء	2-2
التاء - الجيم	1

أما بالنسبة لبقية الأحرف جاءت على النحو التالي :

الصاد	3 أبيات من الخفيف و 4 أبيات من الكامل
الظاد	4 أبيات من الكامل
الشين	3 أبيات من الطويل
الزاي	بيتين فقط

و في الجدول التالي نصنف الحروف من حيث الظاهرة الصوتية لها و وفق ترتيبها في الديوان.

الصوت	الحيز	درجة الانفتاح	الصفة
اللام	مغارزي	بين الشدة والرخاوة	مجهور
النون	أسناني	بين الشدة والرخاوة	مجهور
الراء	مغارزي	بين الشدة والرخاوة مكرر	مجهور
التاء	أسناني	شديد	مهموس
العين	أدنى حلقي	رخو	مجهور
الباء	شفوي	شديد	مجهور
الذال	أسناني نطعي	شديد	مجهور
الميم	شفوي	بين الشدة و الرخاوة خيشومي	مجهور
الكاف	لهوي	شديد	مهموس
القاف	لهوي	شديد	مهموس
الهاء	أقصى الحلق	رخوي	مهموس
الفاء	شفوي	رخوي	مهموس
السين	بين أطراف اللسان و أطراف الثنايا	رخوي	مهموس
عدد	أصوات اسنانية 03	4 أصوات رخوية	6 أصوات

الأصول	أصوات مغارزية 02	5 أصوات شديدة	مهموسة
	أصوات شفوية 03	4 أصوات بين الشدة و الرخاوة	7 أصوات
	أصوات حلقيه 02		مجهورة
	أصوات نطعية 01		

والجدير بالذكر ما لحظناه في الجدول عدم اهتمام الشاعر ببعض الحروف وهي

الشين، الصاد، الطاء، الضاد، الواو، التاء، الجيم، على غير اهتمامه باللام والنون

والراء والعين والبدال لأنها أكثر سهولة في المخارج و يرى البستاني أن "القاف تجود في

الشدة والحرب والبدال في الفخر والحماسة ، واللام في الوصف والخبر، والباء والراء في

الغزل والنسيب، وإنما هو قول إجمالي لا يصح من باب التغليب فلا يصح من باب

الإطلاق".²

لأن الأصوات المفردة تكتسب معانيها من السياق و من طبيعتها النطقية في تحولها

إلى كلمة تكتسب معناها من خلال تراكيبها التي يوجهها الشاعر إلى المتلقي وفق

تواتراته النفسية.

وللتفصيل أكثر في الظواهر الصوتية ، انظر مكي دراد و سعاد بستاني ، المقررات الضوئية في البرامج الوزارية لجامعة وهران دراسة تحليلية تطبيقية ، منشورات دار الأدبية ص42 ، 56 ، 57 ، 99، 100 ، 105 ، 106 و تترجم هذه الصفحات دراسة وافية لمواقع الأصوات و درجات إنفتاحها و صفاها .

¹ ينظر محمد برونة نقلا عن البستاني ، نظرية القرص 97

التصريح:

التصريح كما عرفه ابن رشيق: "ما كانت عروض البيت في تابعه لضربه ، تنقص بنقصه، و تزيد بزيادته"³ وهو " دليل على قوة الطبع وكثرة المادة"⁴ والخطاب الزهدي لم يخلو من التصريح سواء كان في مطلع القصيدة أو في دواخل القصائد أو كلاهما بشكل لافت للنظر .

والتصريح يجعل من القصيدة ذو نغمة موسيقية من جانب الإيقاع الخارجي حيث يعطيها حسن الاستهلال مما يعكس قدرة الشاعر وقوته في نظم الشعر ووفرة ملكته اللغوية التي تجتمع في أبي العتاهية ، حيث جعل التصريح في ستة و ثمانون للمئة (186) قصيدة من ثلاثة و عشرون للمئتين (223) أي بنسبة مئوية قدرت ب 83.40%.

و قال من مجزوء الكامل :

أين القرون الماضية تركوا المنازل الخالية
فاستبدلت بهم ديا رهم الرياح الهاوية

³ ينظر ابن رشيق المصدر السابق ج1 ص173.

⁴ نفس المصدر ص 158.

التصريح في مطالع و دواخل القصيدة :

جاء التصريح في مطالع و دواخل القصيدة في سبعة و خمسون (57) قصيدة من ستة و ثمانون للمئة (186) مصرعه أي بنسبة 25.56 % من مجموع قصائد الديوان و بنسبة 30.64 % من القصائد المصرفة.

و قال من الوافر :

1- أذلّ الحرص و الطمع رقابا و قد يعفو الكريم إذا استرابا⁵

14- أراك و كلما فتحت بابا من الدنيا فتحت عليك نابا

18- أليس الله في كل قريبا بلى من حيث ما نودي أجابا

و قال من الكامل :

1- إنّ الفناء من البقاء قريب إنّ الزّمان إذا رمى كمصيب

5- و لقد رأيتك للزمان مجربا لو كان يحكم رأيك التجريب

10- و لقد سكنت صحون دار تقلب أبلى وأفنى دارك التقلب

27- يا من يعيب و عيبه مشعب كم فيك من عيب و انت تعيب

و له من الطويل :

1- نريد البقاء و الخطوب تكيد و ليس المنى للمرء كيف يريد

12- سقطت إلى الدنيا وحيدا مجردا وتمضي عن الدنيا وأنت وحيد.

ونلاحظ أن "تكيد" و "يريد" على نفس الوزن .

⁵ من الديوان 16

ومن خلال إحصاء القصائد المصرفة بنوعيه المذكور سلفاً نلاحظ إخضاع الشاعر البحور الطويلة إلى التصريع و هذه التراكيب الصوتية في تناغمها هي من الظواهر الأسلوبية التي تستنطق النص الشعري فتظهر كل إبداع الشاعر وسيطرته اللغوية وفق تعدد الموضوعات التي يعالجها في شعره وإن كانت متباينة مع بعضها البعض والتي يحاول من خلالها التأثير على المتلقي محدثة في آن واحد دهشة وإعجاباً في الخطاب الزهدي .

التكرار :

التكرار ظاهرة صوتية تعنى به الدراسة الأسلوبية أو ما يسمى بالانزياح الصوتي "أن التكرار في ذاته ليس جمال يضاف إلى القصيدة وإنما هو كسائر الأساليب في كونه يحتاج أن يجيء في مكانه من القصيدة وأن تلمسه الشاعر تلك اللمسة السحرية التي تبعث الحياة في الكلمات. لأنه يمتلك طبيعة خادعة فهو على سهولته وقدرته في إحداث موسيقى يستطيع أن يظلل الشاعر، ويوقفه في مزلق تعبيرى، فهو يحتوي على إمكانيات تعبيرية تغني المغنى إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه ويستخدمه في موضعه، وإلا فإنه يتحول إلى مجرد تكرارات لفظية متبدلة"⁶

وظاهرة التكرار جاءت بشكل واضح وملفت للنظر في الخطاب الزهدي العتاهي إما مرة واحدة، أو لعدة مرات التي تعطي نغماً، وإيقاعاً موسيقياً، وفق

⁶ نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، دار العلم للملايين ، بيروت ط7 1983 ص 264-269.

مختلف حركاتها وترددها في القصيدة الواحدة مما ينتج قراءة متجددة ودلالات متعددة بالنسبة للمتلقي.

تكرار اللفظ في البيت الواحد:

و قال في طباع أهل عصره من البسيط :

4- لكل (داء) دواء عند عالمه من لم يكن عالماً لم يدر ما (الداء)⁷

9- لم (تبك) نفسك أيام الحياة لما تخشى و أنت على الأموات (بكاء)

و قال في ذم الدنيا من الطويل :

فلا (نعشق) (الدنيا) أخي فإغما يرى (عاشق) (الدنيا) بجهد بلاء⁸

و نلاحظ في البيت تكرار كلمتين و هما العشق و الدنيا و هذا ما يسميه البلاغيون مهد القصيد.

و جاء التكرار من نوع آخر نظمته أبي العتاهية في قصيدة عبارة عن تساؤلات غير حقيقية يبحث لها عن إجابة في زوال الدنيا و زوال الإنسان معها قائلًا :

(ألم تر) أن الناس في غفلاتهم (ألم تر) أسباب الأمور تقطع⁹

(ألم تر) لذات الحديد إلى البلى (ألم تر) أسباب الحمام تشيع

(ألم تر) أن الفقر يعقبه الغنى (ألم تر) أن الضيق قد يتوسع

(ألم تر) أن الموت يهتر شبيبة و أن رماح الموت نحوك تشرع

⁷ ديوان أبي العتاهية ص 05.

⁸ المرجع نفسه ص 05.

⁹ ديوان أبي العتاهية ص 126

(ألم تر) أن المرء يشبع بطنه و ناضره فيما ترى ليس يشبع
(ألم تر) أن المرء يحبس ماله و وارثه فيه إذا يتمتع
تكررت كلمتي (ألم) (تر) تسع مرات في هذه القصيدة، في ظاهرها سؤال لكن في
قراراتها هي تأكيد على عدم بقاء الدنيا على حال واحدة، فالجديد يصبح بالياً
والفقير يغنى و الضيق يتسع .

وأن الموت قادم لا محال والغني إذا مات ورثته يتمتعون بماله، وهذا التكرار جاء
خفيفاً على مسامع المتلقي مما يسهل عليه الاتعاظ و الإرشاد و خرج أبي العتاهية
عن النمط المعهود.

أما في غرور الدنيا فقال من السريع :

حتى تنقضي (حاجات) من ليس واصلاً إلى (حاجة) حتى تكون له أخرى¹⁰
و في نفس المعنى قال :

ما أزين (الحلم) لأصحاب — و غاية (الحلم) تمام التقى¹¹

و قال في تأنيب الرجل الحريص و مدح القنوع قائلاً :

16- (إيّاك) أن تأمن (الزمان) فما زال علينا (الزمان) ينقلب

17- (إيّاك) و (الظلم) إنه (ظلم) (إيّاك) و الظن إنه كذب.

¹⁰ ديوان أبي العتاهية ص 07.

¹¹ ديوان أبي العتاهية ص 19.

تكرار اللفظ أكثر من مرة بعد البيت :

و قال من المنسرح حيث يحث الإنسان على الإرعواد عن جهله في أمر آخرته :

(يا موت) (يا موت) كم أخي ثقة	كلفني غمض عينيه بيدي ¹²
(يا موت) (يا موت) قد أضفت إليّ	الفلة من ثروة و من عدد
(يا موت) (يا موت) صبحتنا بك	الشمس و مست كواكب الأسد
(يا موت) (يا موت) لا أراك من	الخلق جميعا تبقي على أحد

كرر أبو العتاهية كلمة يا موت ثماني مرات ومكررة مرتين في كل المقاطع ونفس الحركات التي تحدث رنة في سمع المتلقي وفي الوقت ذاته نلمس تدفق عواطف الحسرة والخوف من الموت ونلمح نبرة الحزن والشعور بالضعف أمام الموت تأكيدا على عظمة هذا الأخير.

التكرار الصوتي :

قسم البلاغيون مخارج الأصوات فحددوا مخارجها وحيزها وصنفها "فالْحَرْف وحدة ذهنية ثابتة، كما أنه الرمز المكتوب ولا يمكن نطقه من دون حركة إلا على سبيل التمثيل، كما يسمى الصامت أما الصوت فهو الصورة النطقية المتغيرة لأن نطقه يختلف بحسب الصوائت بعينها القصيرة أو الطويلة وبحسب صفاته التي يكتسبها في المفردة و التركيب"¹³ .

¹² ديوان أبي العتاهية ص63.

¹³ ينظر مكّي درار و سعاد بسناسي، المقررات الصوتية، دراسة تحليلية وتطبيقية ص 58.

والخطاب الزهدي لأبي العتاهية وردت أصوات كثيرة في تداولها وتجاوزها تحدث نغما موسيقيا داخليا ينتج استرسالا صوتيا مستحسنا عند المتلقي وعلى سبيل المثال قصيدته التي يغري فيها المرء بالعمل الصالح من البسيط ومطلعها :

طول التعاشر بين الناس مملول ما لابن آدم إن فتشت¹⁴ معقول

للمرء ألوان دنيا رغبة و هوى و عقله أبدا ما عاشت مدخول¹⁵

ونلاحظ الحضور القوي لحرف اللام في تشكيل القصيدة وهو من الحروف المجهورة التي تحدث نغما موسيقيا على الأسماع وما زادها رنة القافية المطلقة والتي جاء وزنها على وزني مفعول:(معقول، منسول، منقول، محمول، مقبول، معسول، مسلول، مشغول، موصول، مأكول..).

و القصائد و المقطوعات اللامية وجدت بقوة في الديوان حيث نظم منها ما يقارب تسع وخمسون —بين مقطوعة و قصيدة—.

بالإضافة إلى تكرار حرف الراء أربع وعشرون مرة، وهو كذلك من الحروف المجهورة ذات حيوية وحركية وخفة في النطق، ومزج الشاعر بين الأحرف المجهورة الأخرى كالعين والباء، والسين، والزاي، والضاد، والميم .

¹⁴ قسمت في رواية آخر كشفت.

¹⁵ من ديوان ص 165

ومجمل القول الشاعر أجاد التنسيق بين حروف الكلمات وانتقائها بعناية لتوجد إيقاعا راصا يجمع بين الخفة والقوة تترجم ملكة الشاعر اللغوية وقدرته على التلاعب بالكلمات وإدراجها في المكان المناسب.

إن الشاعر في تعبيره عن خلجات نفسه المتعددة أثر في الطرائق التنويع الصوتي التي ساعدته في إظهار إيمانه ونقل روح الشاعر عبر رقصات لفظية فهو في موقف توعية وإصلاح المجتمع والإيقاع الشعري لا يجيده، إلا الشاعر المتمكن، والباحث عن أسمع المتلقي للاستجابة إلى ما يدعو إليه.

وإن الأصوات المتكررة هي وسيلة بلاغية توحى بطاقة تنغمية تساهم في إبراز المعنى، تشير إلى عدد من الدلالات.

وقد استغل أبو العتاهية هذه المنبهات الصوتية في ديوانه الزهدي منحه مجالا أوسع للنصح والوعظ والإرشاد، والذي طوّع اللغة لتتلاءم مع ما يناسبه قصد التنويع في خطابه الشعري وفق انزياحات مقصودة.

الفصل الرابع:

التقاطعات النصية في

زهديات أبي العتاهية

التناص في النقد العربي القديم

التناص في الأدب المعاصر.

التناص مع القرآن الكريم .

التناص مع الحديث النبوي الشريف

إن نظرية التناص Intertextualité بالاصطلاح المعاصر والسرقة الأدبية باصطلاح النقد العربي القديم كانت تقوم على فكرة بسيطة لا تستدعي إلا متابعة متأنية وقراءة المتأخرين بالقياس إلى الشعراء المتقدمين في الزمن لمحاولة ضبط الأفكار متجسدة للشعراء والألفاظ التي إجتزها الأواخر عن الأوائل

وقبل أن ندلف إلى معالجة هذه المسألة بالشيء من التفصيل علينا العودة إلى الدراسات النقدية العربية القديمة التي كانت المهمل الأول والانطلاقة الفعلية للنظريات النقدية المعاصرة كما جاء في قول عبد الملك مرتاض :

"وإنه لمن العقوق إن نضرب صفحا عن الكشف عما قد يكون فيه من أصول لنظريات نقدية غريبة تبدو لنا الآن في ثوب مبهرج بالحدثاء فتنبهر أمامها وهي في حقيقتها لا تعدو أن تكون مجرد غصون استقت جذورها¹ من تراثنا النقدي العربي مع اختلاف في المصطلح والمنهج" والمصطلح الذي تعارفوا عليه النقاد والقدامى هي السرقة الشعرية مما أنتج تقارب في المواقف من مؤيد ومعارض فخصصوا له مجالا واسعا في دراساتهم ومؤلفاتهم.

التناص في النقد العربي القديم :

كان الجرجاني أول من استعمل مصطلح السرقات وبلور مفهومه في النقد العربي القديم وأرسى مبادئه وأسسها وتناول هذه المسألة من جميع أقطارها ولاحظ

¹ ينظر محمد برونه عن عبد الملك مرتاض :فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص .مجلة علامات في النقد -نادي جدة ح 1 مج 1 ص 71.

وجود أفكار كثيرة مشتركة بين الناس "كتشبيه العربي كل جميل بالشمس والبدر وكل جواد بالغيث والبحر والبليد البطيء الإدراك بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار والصب المستهام بالمجنون في حيرته.²

وكان يبيح مثل هذه السرقة لأن الفكرة تسربت إلى الأديب عن طريق الإلهام أو المعرفة فأخذ الشاعر المعني وصوره تصويراً مغايراً للأول فهو أحق به من صاحبه بقوله "ولم يزل العامة والخاصة تشبه الورود بالحدود، والحدود بالورود نثراً ونظماً ويقول فيه الشعراء فتكثر وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه، إلا بتناول زيادة تضم إليه أو معنى يشفع.³

ويعتبر ابن رشيق أكثر النقاد توسعاً في الكتابة عن التناس (السرقة الشعرية) الذي أباح هو الآخر هذه السرقة الأدبية وما ميز ابن رشيق أتى بمصطلحات تحليلية من بينها الاصطراف والانتحال، الإعارة والغضب والمرادفة والاهتمام والنظرة الملاحقة والإلمام والاختلاس والالتقاط والتلفيف⁴

² القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ت وشرح الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية

صيدا بيروت ص 189

³ ابن رشيق العمدة تحقيق محمد محي الدين المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ط 2 1963 ماص 177

⁴ ينظر السرقات الشعرية عند ابن رشيق تحقيق نصر الدين عن محمد رزق دار المغرب 2001 ص 92

التناص في النقد المعاصر

شغل التناص حيزا واسعا في الدراسات الحديثة وانشغاله في البحث عن النصوص الأصلية القديمة الحاضرة في النصوص الموالية "والتناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتلقين إذ يعتمد في تميزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح مع الاعتماد على مؤشرات في النص تجعله يكشف عن نفسه ويوجه القارئ للامساك به⁵.

أما في الدراسة النقدية الغربية نجد باختين أول من اصطلح مفهوم التناصية التي أدرجت تحت اسم "الحوارية" لأن في رأيه أي كلام قد قيل بصورة من الصور يستحيل تجنب الالتقاء بالخطاب الذي تعلق به سابقا.⁶

أما جوليا كريستيفا فتفكيرها كان امتدادا للفكر النقدي الباختين فقد آمنت بنظرية التناص، وتحدده "التناص بأنه قانون جوهري أنهى نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي⁷.

⁵ محمد مفتاح تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط 3، 1992 ص121.

⁶ ينظر حسن علي بشير بحار عن حاتم الصقر ترويض النص الهيمنة المصرية العامة للكتاب 1998 ص184 185.

[.HTTP://www.imgaza.edu.ps/com](http://www.imgaza.edu.ps/com)

⁷ نفس المرجع ص 22.

ومن خلال المفاهيم السابقة يصبح الناص هو من أوتي القدرة على جمع النصوص في توليفة جديدة لها دلالتها الخاصة المتواصلة، فالتناص اخذ وامتصاص ثم إنتاج وتحويل له وإنتاج لنص جديد يتشكل من فضاء اللغة، ولا يتجاوزها فالنص ثمرة القراءات السابقة، وعصارتها ومن يبرز تداخل النصوص بأشكال مختلفة، سواء عن طريق التطابق، أو النفي وبالتالي نقرأ السرقات الأدبية قراءة تناسية، تتقاطع مع النصوص الأخرى، إما تطابق كلي أو جزئي، وفي هذا السياق ذهبت جوليا كريستيفا إلى أن النصوص تمتد بعلاقتها التناسية مع نصوص أخرى، فالنص لا يتأسس من عدم "فهو يقع تحت شرعية خطابات أخرى التي تفرض عليه كونا"⁸.

وعليه فإن التناص في الشعر الزهدي وجد ضالته حيث نلقى تقاطعات نصية مع القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة، ومع القصص المذكورة في القرآن الكريم، بحكم المرجعية الدينية، والعقائدية من جهة، ومن جهة ثانية الفترة الزمانية التي عاش فيها أبي العتاهية.

والجدير بالذكر أن أي تقاطع نصي مع النص القرآني، أو مع الحديث النبوي الشريف فهو تناص التعزيد، وهو أكثر المصطلحات عناقا وأشهرها دورانا ويندرج تحت التضمن النصي الصريح بدلالة واحدة تتفق في الوظيفة بمسميات مختلفة ومن التضمن الكلي أو الجزئي الاقتباس - التلميح - استعمال الأمثال - الاستشهاد وهي

⁸ ينظر عن عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة لطبع، الجزائر، 2007، ص 217

في عمومها تتجه وتبرز كمتعاليات نصية ظاهرة في تحاورها وتفاعلها مع النصوص الأخرى اللاحقة⁹

التقاطع النصي مع النص القرآني :

في شعر الزهد والحكمة لأبي العتاهية تجلّى التناس مع القرآن الكريم بمختلف آلياته، وهذا أمر بديهي كون القرآن هو منطلق الشاعر ومن مقوماته الثقافية، ومنبعاً فياضاً للغته وبلاغته، كيف لا وهو كلام الخالق المعجز، والسند الأول ليستمد الشعراء وبالتالي على المتلقي، مما يعكس مكانته الرفيعة في قلبي الشاعر والمتلقي معاً، وبالنسبة لأبي العتاهية فهو من الشعراء الذين يضربون بثقافتهم في الجذور العربية القديمة ويمتص بلاغتهم، ويجذو حذوهم، لذا نلقى حضور النص القرآني بشكل ملفت للنظر في ديوانه الزهدي ونجده في الأغلب يتناص في القصيدة الواحدة مع أكثر من آية، أما في سورة واحدة، أو في عدة سور، ومن بين المواضيع التي استقاها من كلام الله الموت فيقول عنه.

نموت جميعاً كلنا غير ما شك ولا أحد يبقى سوى مالك الملك¹⁰

تقاطع هذا النص الشعري مع النص القرآني في قوله :

"كل نفس ذائقة الموت ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"¹¹

⁹ المرجع السابق نقلاً عن نور الدين صوار السرقات الأدبية في ضوء نظرية التناس ص 101

¹⁰ ديوان أبي العتاهية ص 153

¹¹ سورة الرحمان آية 27

وفي الآية كلام صريح عن فناء كل ما في الدنيا وبقاء وجه الله تعالى وفي صدر البيت

يقطع الشك باليقين، وعلى كل مخلوق التأهب ليوم فناءه، وفي باب الموت نجد

الكثير منه في أشعار أبي العتاهية وقال من الطويل :

وتصريف هذا الخلق لله وحده وكل إليه لا محال راجع¹²

تناص عجز هذا البيت مع قوله تعالى "وكلهم آتية يوم القيامة فردا"¹³

فكل ما على الأرض يمشي وفق مشيئة الرحمان وكل فرد يحاسب بمفرده اليوم الذي لا

ينفع لا المال ولا البنون وقد أكثر أبي العتاهية من الموت في إشعاره من أجل التخلي

عن الدنيا وعدم الحرص عليها ما دام الموت نهاية لكل إنسان على وجه الأرض.

وقال من البسيط:

"لا تأمن الموت في ظرف ولا نفس و إن تمنعت بالحجاب والحرس¹⁴

ما يدفع الموت أرجاء ولا حرس ما يغلب الموت لاجن ولا انس

ما إن دعا الموت أملاكا ولا سوقا إلا ثنأهم إليه الصرع والجلس

تتناص هذه الأبيات مع قول الله تعالى "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في

بروج مشيدة"¹⁵

¹² ديوان أبي العتاهية ص 130

¹³ سورة مريم آية 95

¹⁴ ديوان أبي العتاهية ص 111

¹⁵ سورة النساء آية 78

يقر الشاعر من خلال هذا التناص بحقيقة الموت التي لا تميز بين الصغير والكبير، ولا يمكن لأحد على وجه الأرض النفور منه، لأن الموت هو ذاك الفارس المغوار الذي لا يقهر، ولا يهزم، فلا يغلبه لا الجن، ولا الإنس، ولا الحرس، فالدنيا دار فناء لا داعي للتنافس فيها .

وهذا ما أكدته في البيتين التاليين :

يا بني الدار المعد لها	ماذا عملت لدارك الأخرى
وممهد الفرش الوثيرة لا	تغفل فراش الرقدة الكبرى ¹⁶
وله في سكرات الموت	وتلاقي الدنيونة من الرمل:
كل نفس ستوفي سعيها	ولها مبقات يوم قد وجب ¹⁷

تقاطع هذا البيت الشعري مع النص القرآني في قول الله عزوجل "إِنَّ هَذَا بَيْتٌ شَعَرِيٌّ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

إِنَّ هَذَا بَيْتٌ شَعَرِيٌّ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

كل¹⁸ إِنَّ هَذَا بَيْتٌ شَعَرِيٌّ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

نفس على الأرض نهايتها الموت، وتذوق طعمه وتشرب من كأسه مرغمة ومهما طال عمر الإنسان أو قصر، نهايته الحتمية الموت لذا عليه أن يعمل لآخرته فالدنيا مرحلة مؤقتة وكل ما فيها من بهجة وسرور فإن كل نفس لها ما كسبت كما جاء

¹⁶ ديوان أبي العتاهية ص-08

¹⁷ المصدر نفسه ص21

¹⁸ سورة آل عمران الآية 185

في قول الله تعالى "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى" ¹⁹

و قال أبو العتاهية من هذا الباب:

اصبر لكل مصيبة و تجلد
أو ما ترى أن المصائب جمة
و ترى المنية للعباد بمرصد
و إذا ذكرت العابدين و ذلهم
و العلم أن المرء غير مخلد²⁰
فاجعل ملاذك بالإله الأوحد

تناس مع قول الله تعالى "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى" ²¹

الموت الحد الفاصل بين الحياة، واللاحياة والإنسان أمامه يكون في أضعف

حالاته، عاجزا أمامه والموت حقيقة مؤكدة لا ريب فيها وقانون من القوانين
السمائي المقرونة بانتهاء مرحلة وبداية مرحلة أخرى وهي مرحلة العقاب والحساب
بداية من القبر إلى غاية يوم القيامة. وهي مرحلة الجزاء والعقاب.

القبر و يوم القيامة :

يقول الشاعر من الرمل:

و سقام ثم موت نازل
ثم قبر و نزول و جلب

¹⁹ سورة البقرة آية 281

²⁰ ديوان أبي العتاهية ص 67

²¹ سورة البقرة 155-156

و حساب و كتاب حافظ و موازين و نار تلهب
و صراط من يقع عن حده فاني خزي طويل و نصب

تناص عجز البيت الثاني مع قوله تعالى " \$gšŭ ūi\$ŕ» z Na1q#B â\$Y9\$A\$%

©\$ÄÈ èf žBr" 22" Ošîæ D<Âm 7 /‘ bĴ a! \$ä\$© \$B žĴ)

#%o/& \$kžŭ ūi\$ŕ» z OYg_ ‘\$R ¼q9 bŕù ¼âqŕ\$‘r 23" أما صدر البيت الثاني فقد

24" âqŕt9 & q9 ‘î, Ōxŕ b#âœqè @/" تناص مع قول الله تعالى

و الشاعر يصور لنا مراحل ما بعد الموت وسكرات الموت على القبر ثم يوم
القيامة يوم الأهوال و الكتب المنتشرة. ما على اليمين أو على اليسار، ثم الصراط
المستقيم فمن عبره فقد نجا ما من سقط منه فهو في جهنم خالدا فيها، وغاية
الشاعر التذكير بزوال الدنيا. مستعملا أسلوب الترهيب التي تجعل من الإنسان أن
يفكر مليا ليستعيد إلى هذا اليوم العظيم و يقول :

لله يوم تقشعر جلودهم و تشيب منه ذوائب الأطفال²⁵
يوم النوازل و الزلازل و الحوا مل فيه إذ يقذفن بلا حال

²² الأنعام آية 128

²³ سورة الجن آية 23

²⁴ _ البروج آية 21 - 22

²⁵ ديوان أبي العتاهية ص 167

يوم التغابن و التباين و التنا
زل و الأمور عظيمة الأهوال
يوم ينادي فيه كل مظلل
و مقطعات النار و الأغلال

تناس صدر البيت الأول مع قول الله تعالى

،²⁶

و القشعريرة هي انتفاض الجلد و قيامه، من الخوف و الفزع وهو الرعدة أيضا يدل

على عظمة يوم القيامة —أما البيت الثاني، فتناص في صدره مع قوله تعالى: "(E)"

²⁷

و تناس البيت الثالث في صدره مع قول الله تعالى

^{3/4}

š• 9°E #%/& \$kZÜ šú i\$ŕ z āgrŕ \$ \$kŕB `B " ìB M»Z_ āA ār

²⁶ الزمر آية 23

²⁷ الزلزلة آية 1

"²⁸ و عجز البيت من البيت الأخير تناص مع قول الله تعالى:

"²⁹ b q ç s ó ç @ Å » = j i 9 \$ N g É Y ã & p l @ » = ð R \$ E Ĥ š c q ß = ò f \$ ö i ù

إن هذه الصورة التي رسم مشهدها أبو العتاهية والمستوحاة من النص القرآني، فيها تنبيه، وتحذير لهذا اليوم المرتقب ورتبها أبو العتاهية في هذه الآيات، ترتيباً متتالياً. بدأت من اللحظة الأولى التي يعلن فيها ببدء الساعة، حيث تقشعر له الجلود ثم الزلازل والبراكين وانحيار كل شيء على وجه الأرض، ثم عقاب كل كافر وآثم وعتقه بالسلاسل منقاداً إلى نار جهنم خالداً فيها. كل مسلم يرجو السلامة منه.

ذكر الأقسام السابقة :

استحضر أبو العتاهية الأنبياء الذين أفنأهم الموت وذكر الأقسام السابقة التي طغت على الأرض و كانت عبرة لمن يعتبر و ضرب بها المثل في النص القرآني، فقال من الخفيف:

أين داوود و أين أين سليمان ن المنيع الأعراض و الأجناد³⁰

²⁸ التغابن آية 9

²⁹ سور غافر آية 72

³⁰ ديوان أبو العتاهية ص 68

راكب الريح قاهر الجن و الإنس بسلطانه مذل الأعاد

أين نمرود و ابنه و أين قارو ن وهامان أين ذو الأوتاد

أصاب أبي العتاهية في استحضار الشخصيات التاريخية التي اتصفت بالقوة إلى
الهيمنة و منها سيدنا سليمان الذي كان سيذا على الإنس و حاكم الجن و صاحب
الجاه و رغم هذا لم يصفح من الموت. و قد تناص البيت الأول في صدره مع قول الله

تعالى: "وَأَمَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ سُورَةُ الْفُتُورِ" (سورة الفجر: 17-18)

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ سُورَةُ الْفُتُورِ (سورة الفجر: 17-18)

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ سُورَةُ الْفُتُورِ (سورة الفجر: 17-18)

31" bqa-qanqū īōō\$ A\$ RY\$ ÇÉ\$ B ¼qzā

إن استحضار القصص القرآني في كلام الشاعر تمكن المتلقي من فهم خطابه
وتقريب الصورة له معتمدا على الخلفية الثقافية للمتلقي فالقصص القرآنية شكلا من
الإبداع الفني التي تجعل من الشاعر ينصهر معها. و يشرب من جمالها. ليشكل كلاما
قائما لا مجال للريب فيه.

والغرض من استحضار هذه القصص هو التذكير بالموت والفناء المحتم لكل من على
وجه الأرض.

31 سورة النمل الآية 15 . 16 . 17

النهى عن المعاصي:

قد كنا ذكرنا سابقا أن أبو العتاهية كان ينصح، ويعظ، ويرشد وفي جل المواضيع التي عالجها كان قد استقاها من النبع القرآني ومن بينها الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتصف بها كل مسلم و قد نهى عن التكبر و التجبر قائلا:

4- فلا تمش يوما في ثوب مخيلة فانك من طين خلقت و ماء¹

7- و ما الدهر يوما واحدا في اختلافه و كل أيام الفتى بسواء

تناص مع قول الله تعالى: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ" 2

أما عجز البيت فقد تناص مع الآية "وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ" 3

أخذ أبي العتاهية الفعل لا تمش و جاء بصيغة النهي، لما ورد في الآية الكريمة وهو

تحذير صريح للتخلي عن صفة التكبر والتجبر فهما من صفات الله. وعلى الإنسان بالتواضع لأنه سيعود إلى أصله الذي خلق منه و هو التراب. و الماء كما جاء في

¹ ديوان أبي العتاهية ص6

² سورة الإسراء الآية 37

³ سورة ص، الآية 71

قول الله تعالى: " * 3 • z e q ' \$? N a a ã ì / 0 \$ k j B r N ä % < è ç \$ k ž ŭ r N a » Y ð = z \$ k j B

وفي باب التحذير و النهي تجد له الكثير من الأشعار التي تنهى عن النكر

والمعاصي و ذلك من قوله:

إياك و البغي و البهتان و العيبة و الشك و الكفر و الطغيان و الريبة²

هذا البيت تقاطع مع الكثير من الآيات في قول الله تعالى: " 3 • z e q ' \$? N a a ã ì / 0 \$ k j B r N ä % < è ç \$ k ž ŭ r N a » Y ð = z \$ k j B

3" š c r n ö 0 s s a d 7 í 9 r é b s \$ á è m - q ý 0 0 0

أيضا: " M ó / b î ù \$ J â / (q s î ð ' ù (q e G V \$ û ü Z s 0 0 \$ ` B È \$ G y í \$ Ũ b j r

. 4 ó è 0 0 é s (q é) ù 3 • z V \$ ' ? ã \$ J G 1 % n ħ

ثم قوله: " 5" N ä B # ž z (q q a f b & é ñ ã B q % ` B P q % ö , ó „ W (q z B # ä ũ i V % \$ \$ \$ 7

¹ سورة طه، الآية 55

² ديوان أبي العتاهية ص33

³ سورة الحجرات الآية 7

⁴ سورة الحجرات الآية 9

⁵ سورة الحجرات الآية 11

ويقول تعالى: "فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ" ¹ كان هذا البيت

الشعري هو تلخيص لهذه

الآيات الكريمات. بحيث جاء توظيف اللفظ بمعناه وهذا ما يعرف في البلاغة بالإيجاز، وهو بذلك يوجه رسالة للمتلقي انه صاحب صنعة فنية و ردا عن المشككين بملكته اللغوية، وسهولة ألفاظه.

الإقرار بعظمة الله تعالى:

ندلف في شعر أبي العتاهية لهجة إجلال وتقدير وتعظيم الله تعالى في أكثر من موضع ففي قصيدة يصف الموت وسكراته ويذكر من هلك من أصحابه من الكامل يقول :

أفناهم ملك الملوك فأصبحوا	ما منهم احد يحس ولا يرى ²
وهو الخفي الظاهر الملك الذي	هو لم يزل ملكا على العرش استوى
وهو المقدر والمدبر خلقه	وهو الذي في الملك ليس له سوى

في هذا المقطع الشعري يتقاطع البيت الأول مع قوله تعالى "وَمَا يَشْعُرْ أَتَمْنَىٰ" ³

³ "وَمَا يَشْعُرْ أَتَمْنَىٰ" ³

¹ سورة الحجرات الآية 12

² الديوان ص33

³ سورة الحديد الآية 1

أما البيت الثاني فقد تناص مع قوله تعالى "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" 3/4

1" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

وقوله تعالى "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" 3/4

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 3/4

2" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

تترجم لنا هذه التناسبات مدى حب الشاعر لله والإقرار على مدى صلته به ويصر
أن العبادة له وحده، فهو الأول والآخر وما خلق الإنسان على هذه الأرض إلا
لعبادته وطاعته، وليس لعبادة المال وملذات الحياة، ففي النهاية البقاء لله وحده،
والمتمتع لديوان أبي العتاهية فلا يكاد ينهي قصيدة أو مقطوعة إلا ووجد روح القران
فيها، حيث اعتمد عليه الشاعر كثيرا في استسقاء معانيه، ونلمح تأثره الشديد به .

التنصص مع الأحاديث النبوية :

والنص القرآني ليس الملهم الوحيد لأبي العتاهية فبحكم الفترة الزمنية التي عاش
فيها أبي العتاهية القريبة من فترة الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية ومن ناحية

1 سورة الحديد الآية 2

2 سورة الحديد الآية 43

أخرى هذه الفترة جمع فيها الحديث الشريف، ومما لا شك فيه تشبع الشاعر بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يظهر جليا من خلال أشعاره، كما أن الأحاديث النبوية الشريفة الشارح والمفسر الأول لقول الله تعالى، والمنبع الثاني للفصاحة والبلاغة، والرسول صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة الحسنة لكل امرئ على وجه الأرض ومع تعدد المواضيع واختلافها فإننا نجد تناسبا بين شعر أبي العتاهية و أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بينها :

الموت :

للموت فينا سهام غير مخطئة ما فاته اليوم سهم لم يفته غدا¹.

تناس هذا البيت يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الترمذي قال :قال رسول الله عليه وسلم "احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم إن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا"² ويقول الله تعالى :

وتناس أبو العتاهية معهما معا³ #Zc16eñ\$B b) ÇÈ #Zc16eñ\$B bfu

في قوله:

¹ الديوان ص 67

² أمام أبي زكرياء يحي بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1983، رقم الحديث 63/4 ص

35

³ سورة الانشراح الآية 5

ولم أر بين العسر واليسر خلطة ولم أر بين الحي والميت من سبب¹

إن ساعة المرء محددة من عند الله تعالى والموت لا يخطئ صاحبه ومن يسلم منه اليوم فلن يسلم غدا، وعلى المرء أن يستعد دائما لهذه الساعة بذكر الله والصبر عند المحن ويقول أبو العتاهية في القضاء والقدر

جفت الأقلام من قبل بما حكم الله علينا وكتب²

وتنص هذا البيت مع قول النبي الكريم "...واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"

كشفت المعاني الموجودة في هذا البيت الشعري عن الإيمان المطلق بقضاء الله و قدرته فيما يصيب العبد إلاّ ما كتبه الله تعالى. وهذا البيت ردا على من شكّ بإيمان الشاعر واتهاماتهم له بالزندقة .

الصلاة :

لقد حث الإسلام على الإقتداء بالأوامر و الابتعاد عن النواهي و مثل ذلك الصلاة التي هي عمود الدين و الركن الثاني من أركان الإسلام و من أقام الصلاة فقد أقام الدين كله و عنها قال أبو العتاهية:

¹ الديوان ص 26

² مرجع السابق ص 35

أقم الصلاة في وقتها بطهورها و من الضلال تفاوت الميقات¹

استوحى الشاعر هذا البيت من كلام الله تعالى وعن رسوله الكريم فعن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها² وفي حديث آخر عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يمتنون الصلاة عن وقتها ؟ قال: قلت فما تأمرني؟ قال: صل الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة.³

إن الصلاة توحى بعلاقة تميزها الاستمرارية بين العبد وربّه ومن شروطها إقامتها في وقتها لما أشير إليها في عجز البيت ومن أخر وقتها فقد أتم لقول الله تعالى: "

4 ÇİÈ \$%q6p \$%Fİ šú üZBs33\$ ' ?ã 6MR%. 04-4 9\$5b) 04-4 9\$5q3\$% 'ù

الصدق :

إن الأخلاق الحميدة أكثر ما يؤكّد عليها الإسلام وقال أبو العتاهية في باب الصدق.

ما أكرم الصبر و ما أحسن الصدق و ما أزينه بالتقى⁵

¹ الديوان ص40

² مرجع سابق حديث رقم 227 ص 67

³ مرجع نفسه ص 266

⁴سورة النساء الآية 103

⁵ من الديوان ص 10

و يقول :

و الصدق يعقد فوق رأس حليفه للبر تاجاً¹

تقاطعا هذين البيتين مع قول الرسول صلى الله عليه و سلم : " إن الصدق يهدي إلى البر و إن البر يهدي إلى الجنة. و إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، و إن الكذب يهدي الفجور، و إن الفجور يهدي إلى النار، و إن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"²

إن الصدق من الأخلاق الحميدة ومن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ويعني مطابقة الخبر بالواقع لا زيادة ولا نقصان ولا يكون إلا باللسان و ليس بالأفعال و يهدي إلى البر بمعنى يهدي إلى الخير و الفلاح.

التقوى :

يقول أبو العتاهية :

تمسك بالتقى حتى تموتا و لا تدعو الكلام و لا السكوتا³

تناس هذا البيت مع قول الرسول صلى الله عليه و سلم وهو يخطب في حجة الوداع حيث قال:

¹ من الديوان ص 57

² الإمام زكي يحيى بن شرف النووي، مرجع سابق، ص31

³ ديوان أبي العتاهية ص43

" اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم، تدخلون جنة ربكم"¹. فالتقوى درب العبد للفوز بالجنان، وذكر التقوى في كلام الله عز وجل حيث قال: "يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته"². وكلمة التقى جاءت بأسلوب الأمر وهو الطاعة دون العصيان فيذكر دون أن ينسى ويشكر دون أن يعصي، واستوحى الشاعر المعاني الواردة من الحديث والآية لينبه عن عظمة التمسك بالتقوى ويشير إلى النتائج الوخيمة لكل عاص في الحياة الدنيا والآخرة، فالتقوى سبب من أسباب النجاح والفوز بالجنان، كما نجد فخر الشاعر بتقواه وزهده في قوله

ما الفخر إلا في التقى و الزهد و طاعة تعطي جنان الخلد³
و قوله:

تزاهدت في الدنيا و إني لراغب أرى رغبتى ممزوجة بزهادتي⁴
استسقى الشاعر هذين البيتين من قول الرسول الكريم: " ازهد في الدنيا يحبك الله، و ازهد فيما عند الناس يحبك الناس"⁵

¹ الإمام زكي يحي بن شرف النووي، مرجع سابق، ص39

² سورة آل عمران الآية 102

³ الديوان ص 62

⁴ نفس المصدر 45

⁵ الإمام زكي يحي بن شرف النووي، مرجع سابق، ص169

يرى الشاعر أن الافتخار يكون بتقوى المؤمن وإن يتزهد في الدنيا والإعراض عنها واحتقارها وارتفاع الهمة عنها وعدم الرغبة فيها محبة لله عز وجل وطمعاً في نعم الآخرة فهي حياة الخلد و البقاء.

وفي شعر أبو العتاهية استحضار مكثف لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم مما يعكس تأثره بالحبيب المصطفى واطلاعه وحفظ أحاديثه التي أشبعت ثقافته الدينية، حاملاً على عاتقه إيصالها إلى المتلقي وهذا الاقتباس اللفظي زاد من مكانته الفنية ورد على كل مشكك ناقد لشعره مبرزاً على التراوغ بالألفاظ خاصة تلك المشتقات من كلام الله و الرسول، التي تحيل بالمتلقي الترفع عن الدنيا. والعمل على الفوز بالآخرة.

والشاعر في هذا المقام يعكس الفترة الزمنية التي عاشها وحاول جهده لإصلاح المجتمع الذي ساد فيه الفساد، وذلك استناداً على نصوص دينية، تبلور ثقافته واطلاعه الواسع عليه وتبرز عبقريته في صناعة الشعر. وتفننه في الأخذ والاقتباس.

الفصل الرابع:

التقاطعات النصية في

زهديات أبي العتاهية

التناص في النقد العربي القديم

التناص في الأدب المعاصر.

التناص مع القرآن الكريم .

التناص مع الحديث النبوي الشريف

إن نظرية التناص Intertextualité بالاصطلاح المعاصر والسرقة الأدبية باصطلاح النقد العربي القديم كانت تقوم على فكرة بسيطة لا تستدعي إلا متابعة متأنية وقراءة المتأخرين بالقياس إلى الشعراء المتقدمين في الزمن لمحاولة ضبط الأفكار متجسدة للشعراء والألفاظ التي إجتزها الأواخر عن الأوائل

وقبل أن ندلف إلى معالجة هذه المسألة بالشيء من التفصيل علينا العودة إلى الدراسات النقدية العربية القديمة التي كانت المهة الأول والانطلاقة الفعلية للنظريات النقدية المعاصرة كما جاء في قول عبد الملك مرتاض :

"وإنه لمن العقوق إن نضرب صفحا عن الكشف عما قد يكون فيه من أصول لنظريات نقدية غريبة تبدو لنا الآن في ثوب مبهرج بالحدثة فتنبهر أمامها وهي في حقيقتها لا تعدو أن تكون مجرد غصون استقت جذورها¹ من تراثنا النقدي العربي مع اختلاف في المصطلح والمنهج" والمصطلح الذي تعارفوا عليه النقاد والقدامى هي السرقة الشعرية مما أنتج تقارب في المواقف من مؤيد ومعارض فخصصوا له مجالا واسعا في دراساتهم ومؤلفاتهم.

التناص في النقد العربي القديم :

كان الجرجاني أول من استعمل مصطلح السرقات وبلور مفهومه في النقد العربي القديم وأرسى مبادئه وأسسها وتناول هذه المسألة من جميع أقطارها ولاحظ

¹ ينظر محمد برونه عن عبد الملك مرتاض :فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص .مجلة علامات في النقد -نادي جدة ح 1 مج 1 ص 71.

وجود أفكار كثيرة مشتركة بين الناس "كتشبيه العربي كل جميل بالشمس والبدر وكل جواد بالغيث والبحر والبليد البطيء الإدراك بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار والصب المستهام بالمجنون في حيرته.²

وكان يبيح مثل هذه السرقة لأن الفكرة تسربت إلى الأديب عن طريق الإلهام أو المعرفة فأخذ الشاعر المعني وصوره تصويراً مغايراً للأول فهو أحق به من صاحبه بقوله "ولم يزل العامة والخاصة تشبه الورود بالحدود، والحدود بالورود نثراً ونظماً ويقول فيه الشعراء فتكثر وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه، إلا بتناول زيادة تضم إليه أو معنى يشفع.³

ويعتبر ابن رشيق أكثر النقاد توسعاً في الكتابة عن التناس (السرقة الشعرية) الذي أباح هو الآخر هذه السرقة الأدبية وما ميز ابن رشيق أتى بمصطلحات تحليلية من بينها الاصطراف والانتحال، الإعارة والغضب والمرادفة والاهتمام والنظرة الملاحقة والإلمام والاختلاس والالتقاط والتلفيف⁴

² القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ت وشرح الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية

صيدا بيروت ص 189

³ ابن رشيق العمدة تحقيق محمد محي الدين المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ط 2 1963 ماص 177

⁴ ينظر السرقات الشعرية عند ابن رشيق تحقيق نصر الدين عن محمد رزق دار المغرب 2001 ص 92

التناص في النقد المعاصر

شغل التناص حيزا واسعا في الدراسات الحديثة وانشغاله في البحث عن النصوص الأصلية القديمة الحاضرة في النصوص الموالية "والتناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتلقين إذ يعتمد في تميزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح مع الاعتماد على مؤشرات في النص تجعله يكشف عن نفسه ويوجه القارئ للامساك به⁵.

أما في الدراسة النقدية الغربية نجد باختين أول من اصطلح مفهوم التناصية التي أدرجت تحت اسم "الحوارية" لأن في رأيه أي كلام قد قيل بصورة من الصور يستحيل تجنب الالتقاء بالخطاب الذي تعلق به سابقا.⁶

أما جوليا كريستيفا فتفكيرها كان امتدادا للفكر النقدي الباكتين فقد آمنت بنظرية التناص، وتحدده "التناص بأنه قانون جوهري أنهى نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي⁷.

⁵ محمد مفتاح تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط 3، 1992 ص121.

⁶ ينظر حسن علي بشير بحار عن حاتم الصقر ترويض النص الهيمنة المصرية العامة للكتاب 1998 ص184 185.

[.HTTP://www.imgaza.edu.ps/com](http://www.imgaza.edu.ps/com)

⁷ نفس المرجع ص 22.

ومن خلال المفاهيم السابقة يصبح الناص هو من أوتي القدرة على جمع النصوص في توليفة جديدة لها دلالتها الخاصة المتواصلة، فالتناص اخذ وامتصاص ثم إنتاج وتحويل له وإنتاج لنص جديد يتشكل من فضاء اللغة، ولا يتجاوزها فالنص ثمرة القراءات السابقة، وعصارتها ومن يبرز تداخل النصوص بأشكال مختلفة، سواء عن طريق التطابق، أو النفي وبالتالي نقرأ السرقات الأدبية قراءة تناسية، تتقاطع مع النصوص الأخرى، إما تطابق كلي أو جزئي، وفي هذا السياق ذهبت جوليا كريستيفا إلى أن النصوص تمتد بعلاقتها التناسية مع نصوص أخرى، فالنص لا يتأسس من عدم "فهو يقع تحت شرعية خطابات أخرى التي تفرض عليه كونا"⁸.

وعليه فإن التناص في الشعر الزهدي وجد ضالته حيث نلقى تقاطعات نصية مع القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة، ومع القصص المذكورة في القرآن الكريم، بحكم المرجعية الدينية، والعقائدية من جهة، ومن جهة ثانية الفترة الزمانية التي عاش فيها أبي العتاهية.

والجدير بالذكر أن أي تقاطع نصي مع النص القرآني، أو مع الحديث النبوي الشريف فهو تناص التعزيد، وهو أكثر المصطلحات عناقا وأشهرها دورانا ويندرج تحت التضمن النصي الصريح بدلالة واحدة تتفق في الوظيفة بمسميات مختلفة ومن التضمن الكلي أو الجزئي الاقتباس - التلميح - استعمال الأمثال - الاستشهاد وهي

⁸ ينظر عن عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة لطبع، الجزائر، 2007، ص 217

في عمومها تتجه وتبرز كمتعاليات نصية ظاهرة في تحاورها وتفاعلها مع النصوص الأخرى اللاحقة⁹

التقاطع النصي مع النص القرآني :

في شعر الزهد والحكمة لأبي العتاهية تجلّى التناس مع القرآن الكريم بمختلف آلياته، وهذا أمر بديهي كون القرآن هو منطلق الشاعر ومن مقوماته الثقافية، ومنبعاً فياضاً للغته وبلاغته، كيف لا وهو كلام الخالق المعجز، والسند الأول ليستمد الشعراء وبالتالي على المتلقي، مما يعكس مكانته الرفيعة في قلبي الشاعر والمتلقي معاً، وبالنسبة لأبي العتاهية فهو من الشعراء الذين يضربون بثقافتهم في الجذور العربية القديمة ويمتص بلاغتهم، ويجذو حذوهم، لذا نلقى حضور النص القرآني بشكل ملفت للنظر في ديوانه الزهدي ونجده في الأغلب يتناص في القصيدة الواحدة مع أكثر من آية، أما في سورة واحدة، أو في عدة سور، ومن بين المواضيع التي استقاها من كلام الله الموت فيقول عنه.

نموت جميعاً كلنا غير ما شك ولا أحد يبقى سوى مالك الملك¹⁰

تقاطع هذا النص الشعري مع النص القرآني في قوله :

"كل نفس ذائقة الموت ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"¹¹

⁹ المرجع السابق نقلاً عن نور الدين صوار السرقات الأدبية في ضوء نظرية التناص ص 101

¹⁰ ديوان أبي العتاهية ص 153

¹¹ سورة الرحمان آية 27

وفي الآية كلام صريح عن فناء كل ما في الدنيا وبقاء وجه الله تعالى وفي صدر البيت

يقطع الشك باليقين، وعلى كل مخلوق التأهب ليوم فناءه، وفي باب الموت نجد

الكثير منه في أشعار أبي العتاهية وقال من الطويل :

وتصريف هذا الخلق لله وحده وكل إليه لا محال راجع¹²

تناص عجز هذا البيت مع قوله تعالى "وكلهم آتية يوم القيامة فردا"¹³

فكل ما على الأرض يمشي وفق مشيئة الرحمان وكل فرد يحاسب بمفرده اليوم الذي لا

ينفع لا المال ولا البنون وقد أكثر أبي العتاهية من الموت في إشعاره من أجل التخلي

عن الدنيا وعدم الحرص عليها ما دام الموت نهاية لكل إنسان على وجه الأرض.

وقال من البسيط:

"لا تأمن الموت في ظرف ولا نفس و إن تمنعت بالحجاب والحرس¹⁴

ما يدفع الموت أرجاء ولا حرس ما يغلب الموت لاجن ولا انس

ما إن دعا الموت أملاكا ولا سوقا إلا ثنأهم إليه الصرع والجلس

تتناص هذه الأبيات مع قول الله تعالى "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في

بروج مشيدة"¹⁵

¹² ديوان أبي العتاهية ص 130

¹³ سورة مريم آية 95

¹⁴ ديوان أبي العتاهية ص 111

¹⁵ سورة النساء آية 78

يقر الشاعر من خلال هذا التناص بحقيقة الموت التي لا تميز بين الصغير والكبير، ولا يمكن لأحد على وجه الأرض النفور منه، لأن الموت هو ذاك الفارس المغوار الذي لا يقهر، ولا يهزم، فلا يغلبه لا الجن، ولا الإنس، ولا الحرس، فالدنيا دار فناء لا داعي للتنافس فيها .

وهذا ما أكدته في البيتين التاليين :

يا بني الدار المعد لها	ماذا عملت لدارك الأخرى
وممهد الفرش الوثيرة لا	تغفل فراش الرقدة الكبرى ¹⁶
وله في سكرات الموت	وتلاقي الدنيونة من الرمل:
كل نفس ستوفي سعيها	ولها مبقات يوم قد وجب ¹⁷

تقاطع هذا البيت الشعري مع النص القرآني في قول الله عزوجل "إِنَّ هَذَا بَيْتٌ شَعَرِيٌّ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

إِنَّ هَذَا بَيْتٌ شَعَرِيٌّ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

كل¹⁸ إِنَّ هَذَا بَيْتٌ شَعَرِيٌّ مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

نفس على الأرض نهايتها الموت، وتذوق طعمه وتشرب من كأسه مرغمة ومهما طال عمر الإنسان أو قصر، نهايته الحتمية الموت لذا عليه أن يعمل لآخرته فالدنيا مرحلة مؤقتة وكل ما فيها من بهجة وسرور فإن كل نفس لها ما كسبت كما جاء

¹⁶ ديوان أبي العتاهية ص-08

¹⁷ المصدر نفسه ص21

¹⁸ سورة آل عمران الآية 185

في قول الله تعالى "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى" ¹⁹

و قال أبو العتاهية من هذا الباب:

اصبر لكل مصيبة و تجلد
أو ما ترى أن المصائب جمة
و ترى المنية للعباد بمرصد
و إذا ذكرت العابدين و ذلهم
و العلم أن المرء غير مخلد²⁰
فاجعل ملاذك بالإله الأوحد

تناس مع قول الله تعالى "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى" ²¹

الموت الحد الفاصل بين الحياة، واللاحياة والإنسان أمامه يكون في أضعف

حالاته، عاجزا أمامه والموت حقيقة مؤكدة لا ريب فيها وقانون من القوانين
السمائي المقرونة بانتهاء مرحلة وبداية مرحلة أخرى وهي مرحلة العقاب والحساب
بداية من القبر إلى غاية يوم القيامة. وهي مرحلة الجزاء والعقاب.

القبر و يوم القيامة :

يقول الشاعر من الرمل:

و سقام ثم موت نازل
ثم قبر و نزول و جلب

¹⁹ سورة البقرة آية 281

²⁰ ديوان أبي العتاهية ص 67

²¹ سورة البقرة 155-156

و حساب و كتاب حافظ و موازين و نار تلهب
و صراط من يقع عن حده فاني خزي طويل و نصب

تناص عجز البيت الثاني مع قوله تعالى " \$gšŭ ūi\$ŕ» z Na1q#B â\$Y9\$A\$%

©\$ÄÈ èf žBr" 22" Ošŕæ D<Am 7 /‘ bĴ a! \$ä\$© \$B žĴ)

#%o/& \$kžŭ ūi\$ŕ» z OYg_ ‘\$R ¼q9 bŕù ¼äqŕ\$‘r 23" أما صدر البيت الثاني فقد

24" âqŕtø & qŕ ‘î, Ōxŕ b#äœqè @/" تناص مع قول الله تعالى

و الشاعر يصور لنا مراحل ما بعد الموت وسكرات الموت على القبر ثم يوم
القيامة يوم الأهوال و الكتب المنتشرة. ما على اليمين أو على اليسار، ثم الصراط
المستقيم فمن عبره فقد نجا ما من سقط منه فهو في جهنم خالدا فيها، وغاية
الشاعر التذكير بزوال الدنيا. مستعملا أسلوب الترهيب التي تجعل من الإنسان أن
يفكر مليا ليستعيد إلى هذا اليوم العظيم و يقول :

لله يوم تقشعر جلودهم و تشيب منه ذوائب الأطفال²⁵
يوم النوازل و الزلازل و الحوا مل فيه إذ يقذفن بلا حال

²² الأنعام آية 128

²³ سورة الجن آية 23

²⁴ _ البروج آية 21 - 22

²⁵ ديوان أبي العتاهية ص 167

يوم التغابن و التباين و التنا
زل و الأمور عظيمة الأهوال
يوم ينادي فيه كل مظلل
و مقطعات النار و الأغلال

تناس صدر البيت الأول مع قول الله تعالى

،²⁶

و القشعريرة هي انتفاض الجلد و قيامه، من الخوف و الفزع وهو الرعدة أيضا يدل

على عظمة يوم القيامة —أما البيت الثاني، فتناص في صدره مع قوله تعالى: "(E)"

²⁷

و تناس البيت الثالث في صدره مع قول الله تعالى

^{3/4}

š• Ĩ°E #%/& \$kŽŮ šú ĩ\$ŕ z āgrŕ \$ \$kŭB `B “ ĩB M»Z_ āA ār

²⁶ الزمر آية 23

²⁷ الزلزلة آية 1

"²⁸ و عجز البيت من البيت الأخير تناص مع قول الله تعالى:

"²⁹ b q ç s ó ç @ Å » = j i 9 \$ N g É Y ã & p l @ » = ð r \$ E Ĥ š c q ß = ò f \$ ö i ù

إن هذه الصورة التي رسم مشهدها أبو العتاهية والمستوحاة من النص القرآني، فيها تنبيه، وتحذير لهذا اليوم المرتقب ورتبها أبو العتاهية في هذه الآيات، ترتيباً متتالياً. بدأت من اللحظة الأولى التي يعلن فيها ببدء الساعة، حيث تقشعر له الجلود ثم الزلازل والبراكين وانحيار كل شيء على وجه الأرض، ثم عقاب كل كافر وآثم وعتقه بالسلاسل منقاداً إلى نار جهنم خالداً فيها. كل مسلم يرجو السلامة منه.

ذكر الأقسام السابقة :

استحضر أبو العتاهية الأنبياء الذين أفنأهم الموت وذكر الأقسام السابقة التي طغت على الأرض و كانت عبرة لمن يعتبر و ضرب بها المثل في النص القرآني، فقال من الخفيف:

أين داوود و أين أين سليمان ن المنيع الأعراض و الأجناد³⁰

²⁸ التغابن آية 9

²⁹ سور غافر آية 72

³⁰ ديوان أبو العتاهية ص 68

راكب الريح قاهر الجن و الإنس بسلطانه مذل الأعاد

أين نمروود و ابنه و أين قارو ن وهامان أين ذو الأوتاد

أصاب أبي العتاهية في استحضار الشخصيات التاريخية التي اتصفت بالقوة إلى
الهيمنة و منها سيدنا سليمان الذي كان سيدا على الإنس و حاكم الجن و صاحب
الجاه و رغم هذا لم يصفح من الموت. و قد تناص البيت الأول في صدره مع قول الله

تعالى: "وَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ فَأَنزَلْنَاهُ سُلْطَانًا كَبِيرًا" (سورة النمل: 17).

وَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ فَأَنزَلْنَاهُ سُلْطَانًا كَبِيرًا (سورة النمل: 17).

وَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ فَأَنزَلْنَاهُ سُلْطَانًا كَبِيرًا (سورة النمل: 17).

31" bqa-qānū īōō\$ A\$ RY\$ ÇÉ\$ B ¼qāzā

إن استحضار القصص القرآني في كلام الشاعر تمكن المتلقي من فهم خطابه
وتقريب الصورة له معتمدا على الخلفية الثقافية للمتلقي فالقصص القرآنية شكلا من
الإبداع الفني التي تجعل من الشاعر ينصهر معها. و يشرب من جمالها. ليشكل كلاما
قائما لا مجال للريب فيه.

والغرض من استحضار هذه القصص هو التذكير بالموت والفناء المحتم لكل من على
وجه الأرض.

31 سورة النمل الآية 15 . 16 . 17

قد كنا ذكرنا سابقا أن أبو العتاهية كان ينصح، ويعظ، ويرشد وفي جل المواضيع التي عالجها كان قد استقها من النبع القرآني ومن بينها الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتصف بها كل مسلم و قد نهى عن التكبر و التجبر قائلا:

7- وما الدهر يوما واحدا في اختلافه وكل أيام الفتى بسواء

أما عجز البيت فقد تناص مع الآية $A\$ \% \textcircled{6}$ $2^{\text{''}}$ $\text{wq}\textcircled{U}$ $A\$6\textcircled{A}\$ \div \textcircled{6}$ $\text{AE } 9\text{r}$

3" 8üÛ `B #Z³ 0 7f» z ' ð p3Í»=Jü 7 /‘

أخذ أبي العتاهية الفعل لا تمش و جاء بصيغة النهي، لما ورد في الآية الكريمة وهو تحذير صريح للتخلي عن صفة التكبر والتجبر فهما من صفات الله. وعلى الإنسان بالتواضع لأنه سيعود إلى أصله الذي خلق منه و هو التراب. و الماء كما جاء في

³ سورة ص، الآية 71

قول الله تعالى: " * 3 • z e q ' \$? N a a ã ì / 0 \$ k j B r N ä % < è ç \$ k ž ŭ r N a » Y ð = z \$ k j B

وفي باب التحذير و النهي تجد له الكثير من الأشعار التي تنهى عن النكر

والمعاصي و ذلك من قوله:

إياك و البغي و البهتان و العيبة و الشك و الكفر و الطغيان و الريبة²

هذا البيت تقاطع مع الكثير من الآيات في قول الله تعالى: " 3 • z e q ' \$? N a a ã ì / 0 \$ k j B r N ä % < è ç \$ k ž ŭ r N a » Y ð = z \$ k j B

3" š c r n ö 0 s s a d 7 í 9 r é b \$ \$ á è m - q ý 0 0 0

أيضا: " M ó / b î ù \$ J â / (q s î ð ' ù (q e G V \$ ũ ũ Z B s 0 \$ ` B È \$ G ý í \$ Ũ b j r

. 4 Ó è 0 Ó É \$ (q é) ù 3 • z V \$ ' ? ã \$ J G 1 % n ħ

ثم قوله: " 5" N ä B # ž z (q q a f b & é ñ ã B q ` B P q % ö , ó „ W (q z B # ä ũ i V % \$ \$ \$ 7

¹ سورة طه، الآية 55

² ديوان أبي العتاهية ص33

³ سورة الحجرات الآية 7

⁴ سورة الحجرات الآية 9

⁵ سورة الحجرات الآية 11

ويقول تعالى: "فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ" ¹ كان هذا البيت

الشعري هو تلخيص لهذه

الآيات الكريمات. بحيث جاء توظيف اللفظ بمعناه وهذا ما يعرف في البلاغة بالإيجاز، وهو بذلك يوجه رسالة للمتلقي انه صاحب صنعة فنية و ردا عن المشككين بملكته اللغوية، وسهولة ألفاظه.

الإقرار بعظمة الله تعالى:

ندلف في شعر أبي العتاهية لهجة إجلال وتقدير وتعظيم الله تعالى في أكثر من موضع ففي قصيدة يصف الموت وسكراته ويذكر من هلك من أصحابه من الكامل يقول :

أفناهم ملك الملوك فأصبحوا	ما منهم احد يحس ولا يرى ²
وهو الخفي الظاهر الملك الذي	هو لم يزل ملكا على العرش استوى
وهو المقدر والمدبر خلقه	وهو الذي في الملك ليس له سوى

في هذا المقطع الشعري يتقاطع البيت الأول مع قوله تعالى "وَمَا يَشْعُرْ أَتَمْنَىٰ" ³

³ "وَمَا يَشْعُرْ أَتَمْنَىٰ" ³

¹ سورة الحجرات الآية 12

² الديوان ص33

³ سورة الحديد الآية 1

أما البيت الثاني فقد تناص مع قوله تعالى "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" 3/4

1" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

وقوله تعالى "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" 3/4

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 3/4

2" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

تترجم لنا هذه التناسبات مدى حب الشاعر لله والإقرار على مدى صلته به ويصر
أن العبادة له وحده، فهو الأول والآخر وما خلق الإنسان على هذه الأرض إلا
لعبادته وطاعته، وليس لعبادة المال وملذات الحياة، ففي النهاية البقاء لله وحده،
والمتمتع لديوان أبي العتاهية فلا يكاد ينهي قصيدة أو مقطوعة إلا ووجد روح القران
فيها، حيث اعتمد عليه الشاعر كثيرا في استسقاء معانيه، ونلمح تأثره الشديد به .

التناس مع الأحاديث النبوية :

والنص القرآني ليس الملهم الوحيد لأبي العتاهية فبحكم الفترة الزمنية التي عاش
فيها أبي العتاهية القريبة من فترة الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية ومن ناحية

1 سورة الحديد الآية 2

2 سورة الحديد الآية 43

أخرى هذه الفترة جمع فيها الحديث الشريف، ومما لا شك فيه تشبع الشاعر بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يظهر جليا من خلال أشعاره، كما أن الأحاديث النبوية الشريفة الشارح والمفسر الأول لقول الله تعالى، والمنبع الثاني للفصاحة والبلاغة، والرسول صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة الحسنة لكل امرئ على وجه الأرض ومع تعدد المواضيع واختلافها فإننا نجد تناسبا بين شعر أبي العتاهية و أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بينها :

الموت :

للموت فينا سهام غير مخطئة ما فاته اليوم سهم لم يفته غدا¹.

تناس هذا البيت يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الترمذي قال :قال رسول الله عليه وسلم "احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم إن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا"² ويقول الله تعالى :

وتنصص أبو العتاهية معهما معا³ #Zc16eñ\$B b) ÇÈ #Zc16eñ\$B bfu

في قوله:

¹ الديوان ص 67

² أمام أبي زكرياء يحي بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1983، رقم الحديث 63/4 ص

35

³ سورة الانشراح الآية 5

ولم أر بين العسر واليسر خلطة ولم أر بين الحي والميت من سبب¹

إن ساعة المرء محددة من عند الله تعالى والموت لا يخطئ صاحبه ومن يسلم منه اليوم فلن يسلم غدا، وعلى المرء أن يستعد دائما لهذه الساعة بذكر الله والصبر عند المحن ويقول أبو العتاهية في القضاء والقدر

جفت الأقلام من قبل بما حكم الله علينا وكتب²

وتنص هذا البيت مع قول النبي الكريم "...واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"

كشفت المعاني الموجودة في هذا البيت الشعري عن الإيمان المطلق بقضاء الله و قدرته فيما يصيب العبد إلاّ ما كتبه الله تعالى. وهذا البيت ردا على من شكّ بإيمان الشاعر واتهاماتهم له بالزندقة .

الصلاة :

لقد حث الإسلام على الإقتداء بالأوامر و الابتعاد عن النواهي و مثل ذلك الصلاة التي هي عمود الدين و الركن الثاني من أركان الإسلام و من أقام الصلاة فقد أقام الدين كله و عنها قال أبو العتاهية:

¹ الديوان ص 26

² مرجع السابق ص 35

أقم الصلاة في وقتها بطهورها و من الضلال تفاوت الميقات¹

استوحى الشاعر هذا البيت من كلام الله تعالى وعن رسوله الكريم فعن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها² وفي حديث آخر عن أبي ذرّ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخّرون الصّلاة عن وقتها، أو يمتنون الصّلاة عن وقتها ؟ قال: قلت فما تأمرني؟ قال: صلّ الصّلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصلّ، فإنّها لك نافلة.³

إنّ الصلاة توحى بعلاقة تميّزها الاستمرارية بين العبد وربّه ومن شروطها إقامتها في وقتها لما أشير إليها في عجز البيت ومن أخر وقتها فقد أتمّ لقول الله تعالى: "

4 ÇİÈ \$%q6p \$%Fİ šÚ üZBs33\$ ' ?ã 6MR%. 04-4 9\$5b) 04-4 9\$5q3\$% 'ù

الصدق :

إنّ الأخلاق الحميدة أكثر ما يؤكّد عليها الإسلام وقال أبو العتاهية في باب الصدق.

ما أكرم الصبر و ما أحسن الصدق و ما أزينه بالتقى⁵

¹ الديوان ص40

² مرجع سابق حديث رقم 227 ص 67

³ مرجع نفسه ص 266

⁴سورة النساء الآية 103

⁵ من الديوان ص 10

و يقول :

و الصدق يعقد فوق رأس حليفه للبر تاجاً¹

تقاطعا هذين البيتين مع قول الرسول صلى الله عليه و سلم : " إن الصدق يهدي إلى البر و إن البر يهدي إلى الجنة. و إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، و إن الكذب يهدي الفجور، و إن الفجور يهدي إلى النار، و إن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"²

إن الصدق من الأخلاق الحميدة ومن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ويعني مطابقة الخبر بالواقع لا زيادة ولا نقصان ولا يكون إلا باللسان و ليس بالأفعال و يهدي إلى البر بمعنى يهدي إلى الخير و الفلاح.

التقوى :

يقول أبو العتاهية :

تمسك بالتقى حتى تموتا و لا تدعو الكلام و لا السكوتا³

تناس هذا البيت مع قول الرسول صلى الله عليه و سلم وهو يخطب في حجة الوداع حيث قال:

¹ من الديوان ص 57

² الإمام زكي يحيى بن شرف النووي، مرجع سابق، ص31

³ ديوان أبي العتاهية ص43

" اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم، تدخلون جنة ربكم"¹. فالتقوى درب العبد للفوز بالجنان، وذكر التقوى في كلام الله عز وجل حيث قال: "يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته"². وكلمة التقى جاءت بأسلوب الأمر وهو الطاعة دون العصيان فيذكر دون أن ينسى ويشكر دون أن يعصي، واستوحى الشاعر المعاني الواردة من الحديث والآية لينبه عن عظمة التمسك بالتقوى ويشير إلى النتائج الوخيمة لكل عاص في الحياة الدنيا والآخرة، فالتقوى سبب من أسباب النجاح والفوز بالجنان، كما نجد فخر الشاعر بتقواه وزهده في قوله

ما الفخر إلا في التقى و الزهد و طاعة تعطي جنان الخلد³
و قوله:

تزاهدت في الدنيا و إني لراغب أرى رغبتى ممزوجة بزهادتي⁴
استسقى الشاعر هذين البيتين من قول الرسول الكريم: " ازهد في الدنيا يحبك الله، و ازهد فيما عند الناس يحبك الناس"⁵

¹ الإمام زكي يحي بن شرف النووي، مرجع سابق، ص39

² سورة آل عمران الآية 102

³ الديوان ص 62

⁴ نفس المصدر 45

⁵ الإمام زكي يحي بن شرف النووي، مرجع سابق، ص169

يرى الشاعر أن الافتخار يكون بتقوى المؤمن وإن يتزهد في الدنيا والإعراض عنها واحتقارها وارتفاع الهمة عنها وعدم الرغبة فيها محبة لله عز وجل وطمعا في نعم الآخرة فهي حياة الخلد و البقاء.

وفي شعر أبو العتاهية استحضار مكثف لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم مما يعكس تأثره بالحبيب المصطفى واطلاعه وحفظ أحاديثه التي أشبعت ثقافته الدينية، حاملا على عاتقه إيصالها إلى المتلقي وهذا الاقتباس اللفظي زاد من مكانته الفنية ورد على كل مشكك ناقد لشعره مبرزا على التراوغ بالألفاظ خاصة تلك المشتقات من كلام الله و الرسول، التي تحيل بالمتلقي الترفع عن الدنيا. والعمل على الفوز بالآخرة.

والشاعر في هذا المقام يعكس الفترة الزمنية التي عاشها وحاول جهده لإصلاح المجتمع الذي ساده الفساد، وذلك استنادا على نصوص دينية، تبلور ثقافته واطلاعه الواسع عليه وتبرز عبقريته في صناعة الشعر. وتفننه في الأخذ والاقتباس.

لقد عاش أبو العتاهية عصرا مليئا بالتناقضات الفكرية أدت بالفكر العربي إلى السقوط في هاوية المجون والزندقة انعكست على الشعر والأدب بصفة عامة، وذلك بفعل التمازج الثقافي والديني والسياسي والاجتماعي في المجتمع العباسي من جهة ومن جهة أخرى كان عاملا لظهور التيارات التي تخالف الدين الإسلامي في التشريع، والتي أدت إلى الانحلال الخلقي وبالمقابل ظهر تيار فكري آخر ناقضه قصد الإصلاح والوعوي، والتنوير والرجوع إلى العقيدة الإسلامية، وكان من هؤلاء أبو العتاهية، الذي جعل من شعره وسيلة للإرشاد والوعظ ويعتبر أبي العتاهية من الشعراء الأوائل الذين تكلموا في الزهد ودعوا إليه ومرد ذلك أن الزهد نشأ نشأة إسلامية خالصة منبثقا من القرآن الكريم والسنة النبوية وهذا لا يعني الانقطاع عن الدنيا ، إلا أن أبي العتاهية أولى موضوع الموت اهتماما كبيرا، وكل ما يتعلق به أي ما يأتي بعده من عذاب القبر إلى يوم القيامة وما يتبعها من أهوال قصد التنفير من الدنيا وملذاتها.

وربما كان هذا (الموت) أقوى سلاح لترهيب والتخويف كما أن الشاعر بحكم سنه وزهده كان حكيما في أشعاره، فالحكمة والزهد غرضان متلازمان وبرغم من وجود الزهد ما قبل أبي العتاهية إلا أن ملامحه لم تنضج مثل ما ظهرت عند أبي العتاهية.

ولم يخلوا الخطاب الشعري من العنصر الإبداعي لدى الشاعر من طباق ومقابلة، ولرسم لوحة فنية تجعل من القارئ يتلذذ لهذه اللغة التعبيرية وإن كانت بألفاظ سهلة لا تكلف التفكير عندها، إلا أن الجمع بين المحسوس واللامحسوس والحاضر والغيب أسهم في تقريب الصورة للمتلقي، لأن الشاعر يعمل على إحداث مفارقة جميلة عملت على تكثيف المثيرات الأسلوبية التي اتخذها قصد ربط مدلولاتها فعملت بنجاح لإيصال الفكرة للقارئ وشد انتباهه ليصل إلى عمق المعنى الذي أراد الشاعر أن يعبر عنه .

وبرزت بعض الخصائص الفنية المشتركة بينه وبين الشعراء السابقين له، وحضور المقطوعات شعرية في ديوانه تكاد تكون متعادلة مع عدد قصائد أما من ناحية الأوزان فقد كان يخرج عن المألوف، وفي مجمله كان يمشي على خطى سابقيه، كما برزت قدرته الشعرية على التحكم في مجرى القوافي والتصريع في معظم القصائد في المطالع والدواخل التي تطرب لها الأسماع من خلال وقع موسيقي مسترسل.

على الرغم من اتهام أبي العتاهية بالزندقة، إلا أن توجهه الديني بدا جليا من خلال استنباط شعره من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالتناص الذي يظهر الثقافة العميقة وقريحته الشعرية الفياضة.

إن موضوع الزهد موضوع إسلامي يحتاجه كل واحد في هذه الحياة. فالله والرسول حثا عليه، للفوز بالآخرة، وهذه الحياة فانية علينا فهمها وكيفية التعامل معها بإيجابية وأن نعيش بيقين أن الموت يلزمنا إن لم يصيبنا اليوم فغدا صائبا لا محال.

وفي الختام لا يسعني إلا الإقرار بشساعة موضوع الزهد ولا يمكن الإحاطة بكل جوانبه في مذكرة ماجستير لكن حولت القيام بهذا البحث العلمي الذي يدور حول الزهد بطريقة موضوعية بكل حماسة وهذا ما حثني على الاشتغال أكثر على الموضوع في الأبحاث القادمة.

قائمة المصادر والمراجع:

✚ القرآن الكريم.

✚ الحديث النبوي الشريف

1. ابراهيم أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر.
2. إبراهيم أنيس موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1978.
3. ابن رشيق القيروان، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، ت. ج محمد محي الدين، عبد الحميد دار الجيل، ط5، 1981.
4. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ج1، دار المعارف، القاهرة. مصر.
5. ابن هاني الأندلسي. تبين المعاني وسراج الأدباء، ت. ج، محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983.
6. أبو الهلال العسكري، الصناعتين ، الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1981.
7. أبو حمدان سمير الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت باريس، ط1، 1991.
8. ابو فرج بن الجوزي البغدادي، تلبس إبليس، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان .

9. أبي الحسن علي بن سام الششريني، النخيرة في محاسن أهل الجذيرة تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان.
10. أبي الحسن علي بن بسام الششريني، تحقيق د، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان
11. أبي مسعود المعاني بن عمران الموصلي، الزهد، دراسة وتحقيق، وتحليق الدكتور عامر حسن صبري، دار الستائر الإسلامية.
12. أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الفحاء دمشق، ج10، ط3، 2000 العراق.
13. الأصفهاني الأغاني ج3 من 21 مطبعة التقدم، مصر.
14. الأصوات اللغوية، مكتبة لأنجو مصرية القاهرة، مصر، ط، 1992.
15. الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، تحقيق نصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط4، 1982.
16. الإمام بي يحي بن الشرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983.
17. أنيس المقديسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، دار العلم للملايين لبنان.
18. البكوش طيب التصريف العربي، من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم ثالح القرمادي مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع تونس، ط2، 1987.

19. بوحوش رابح، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم ط1، 2006.
20. البيهقي الزهد الكبير، حققه وأخرج أحاديثه وفهرسه الشيخ عامر أحمد حيدر، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1987.
21. جابر عصفور مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي والبلاغي الهيئة المصرية العامة للمكتبات، ط5.
22. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي، ط3، 1992.
23. الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
24. جلال شمس الدين: الانماط الشكلية لكلام العرب، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية 1995.
25. حسن عبد الجليل يوسف موسيقى الشعر العربي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988.
26. حسن عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1989.
27. حسن قرعاوي، الحكمة في شعر المتنبي، ط1، دار عمان، الأردن، 1986.
28. حسين علي الزغبى التقدم والتجديد في الشعر العباسي بين التعصب والواقع مجلة جامعة دمشق عدد 27 العدد الثالث 2011.
29. رجاء عيد لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الأسكندرية 1985.

30. رزقه يوسف مقارنة أسلوبية لشعر عز الدين المناصرة مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، ع2، 2002
31. الزمخشري جار الله، القسطاس في علم العروض، ت.ج، فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، بحلب سوريا، ط1، 1977.
32. سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية بيروت، لبنان.
33. شوقي ضيف، الفن ومذاهب في الشعر العربي، ط11، دار المعارف، مصر.
34. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول دار المعارف ط16، 2004، لبنان
35. صبري إبراهيم السيد: أصول النغم في الشعر العربي، دار المعرفة الجامعية 1993 مصر.
36. عبد الحكيم حسان التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث هجري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1954 مصر.
37. عبد الدايم صابر موسيقى الشعر العربي بين التبان والتطور مكتبة الخانجي بالقاهرة ط3، 1993.
38. عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1989.
39. عبد الرزاق أبو سعد مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي، دار المعارف، ط1.
40. عبد الرضا علي موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر النظرية والشعر الحر، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان الأردن ط1، 1997.

41. عبد الفتاح الأشين التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار الميرين للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
42. عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح، السيد محمد رشيد، رضا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1، 2002.
43. عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة.
44. عبدالفتاح التركيب النحوي من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار الميرين للنشر الرياض، السعودية.
45. عدنان حسين العوادي، الشعر الصوفي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، العراق، 1986.
46. العربي حسن دريش الشعر العباسي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989
47. علي بن الحسن المسعودي، مروجي الذهب، ج3، مطبعة بولاق، القاهرة،
48. فتحي أحمد عامر من قضايا التراث العربي (دراسة نصية تحليلية مقارنة الشعر والشام) منشأ معارف الأسكندرية، للطباعة، مصر.
49. في النص الأدبي دراسة أسلوبية احصائية عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1994.
50. محمد حسن الأعرجي الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي همى للنشر والتوزيع .
51. محمد حسن العبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف القاهرة، مصر.
52. محمد عبد الرحيم الموت والقبور في الشعر العربي دار الراتب الجامعية بيروت لبنان 2000.

53. مصطفى السعداني التناص الشعري وأراءه أخرى لقضية السرقات دار المعارف
الأسكندرية
54. مصطفى الشعكة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط6، دار العلم للملايين
بيروت، 1986.
55. مصطفى حلمي الحياة الروحية في الإسلام ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة
1985.
56. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ العرب راجعه وطبعه عبد الله المنشاوي ومهدي الحقيري،
ج1، مكتبة الإيمان، مصر.
57. مصطفى صاوي الجويني، البلاغة بين التاريخ والفن، كلية البنات جامعة عين
الشمس 1975.
58. مصطفى عبد الشافي الشوري، الشعر العباسي اتجاهاته، وتطوره كلية الآداب جامعة
عين الشمس 1981 مصر.
59. مصطفى ناصف اللغة والتفسير والتواصل لم مجلة عالم المعرفة الكويت بإشراف أحمد
مشاري العدواني 1923-1990.
60. نبيل أبو حاتم ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع هجري، دار الثقافة، الدوحة،
قطر، 1985.
61. نزار عبد الله الغموري، الزهد في الشعر العباسي، دار حامد للطباعة والنشر والتوزيع.
62. يوسف حسن نوفل أصوات النص الشعر، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع ط1،
1995.

الرسائل الجامعية:

1- محمد برونه، دراسة أسلوبية في الشعر، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير

منشورة. جامعة وهران

2- لخضر حاكمي، ديوان ترجمات الأشواق، لابن العربي دراسة مقارنة أسلوبية، رسالة

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه غير منشورة. جامعة وهران.

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول: الزهد في العصر العباسي

- 2..... دلالة مصطلح الزهد
- 4..... الزهد في القرآن الكريم
- 6..... سياق الزهد في العصر العباسي
- 11 شعراء الزهد واتجاهاتهم
- 16..... شعراء الزهد وعلاقته بالموضوعات الأخرى
- 21..... شعر أبو العتاهية قبل الزهد وآراء الشعراء فيه
- 28..... زهدا أبو العتاهية ومواطن زهده

الفصل الثاني: الصورة الشعرية في زهديات أبي العتاهية

- 31..... شعرية البيان
- 32..... الصورة الشعرية البيانية
- 52..... البنية التركيبية
- 53..... الإنزياحات التركيبية

الفصل الثالث: موسيقى الشعر في زهديات أبي العتاهية

- 63..... دراسة البحور الشعرية في زهديات أبي العتاهية
- 80..... التصريع
- 82..... التكرار
- 87..... خلاصة

الفصل الرابع: التقطعات النصية في زهديات ابي العتاهية

89.....	مفهوم التناص:
89.....	التناص في النقد العربي القديم.
91.....	التناص في النقد المعاصر.
93.....	التقاطع النصي مع النص القرآني.
104.....	التناص مع الأحديث النبوية الشريفة .
112.....	الخاتمة.
116.....	قائمة المصادر والمراجع.